عمي سيد ...
خدعني الفيس بوك

المؤلف اشرف فرج



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد
اســـم الكتاب : عمي سيد..
خدعني الفيس بوك
المــــــــؤلف :
رقــم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١٢



مقدمة

فى عالم طغت فيه المادة على كثير من المعاني والأفكار وطمُح الإنسان إلى البُعد عن إظهار تجليات الواقع الذى نعيش فيه وردها إلى منهج الله، ففى كثير من الأحيان تمر بنا حكايات مريرة ترصد أمراض مجتمعنا وترسخ قيماً ومبادئ سامية ربما تعلمناها من رجل بسيط كعم سيد، لم يلق قدراً من التعليم أو حكمة أخرى أخذناها من فم امرأة عانت من جنون فريد تتكبد في قولها صراعاً .. وجل ما نرصده فى مجموعتنا أمراضاً عصرية شبت في جسم مجتمعنا وألهبت فيه روح الشقاء والعناد، فنجد صراع أشقاء وقتل النفس بدون وجه حق، وتكنولوجيا خادعة، وتلك بعض الأمراض العصرية التى نالت وأحرقت قلب المجتمع والناس يغطون فى نوم عميق.

لذا كان لزاماً علينا رصد بعضها وطرحها أمام أعين الناس لعلنا نُعمل ألباباً تعي وقلوب تقرأ للخروج من هذا المأزق والنهوض ببلدنا ووصف الدواء لأمراض عصرنا.

فى مجموعتنا القصصية التى تناولنا فيها بعض أمراض مجتمعنا فى محاولة لإيجاد حلول ومشاركة فعالة للمواطن البسيط.

نتمني أن نكون وفقنا فى هذا الطرح قدر ما اقتربنا لعالمنا الحى الذى نشعر به.

١- عائد إلى الله

رأيتهم يكفنونني وأنا حي، ظللت أصرخ فيهم: لاتكفنوننى وأنا حي .. حملونى على أعناقهم فى طريقهم إلى المقابر .. وأنا مازلت أصرخ فيهم .. لاتدفنوننى .. لاتدفنوننى .. وضعنى المشيعون في لحدٍ مُظلم وأخذوا يُهيلون علىّ التراب وأنا ألوّح لهم بيدى لا تتركونى وترحلوا فأنا مازلت حياً.. فأنا حى .. أنا حى.

وبعد أن غمرنى التراب وملأ جفونى لم تطرف عينى، بل كان بصرى حديداً .. ولم أشعر بشىء بعد ذلك إلا أن وجدت يد صاحب البيت توقظني من منامي، بعدما سمع صراخى الشديد، وأنا أنادى على أهلى لإقامة الصلاة !

بعدما استيقظت سألت صاحب البيت عن مكان القبلة، وصليت ركعتين

إلى أن أحسست برعشة تصيب جسدى.

وأنهيت صلاتى بحمد الله وتكبيره والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ..

ونظر إلىّ صاحب البيت الذى أنا فيه مندهشاً وسألنى :هل السحرة يصلون لله ؟! سؤاله بدأ كالصاعقة، وأحسست أننى ملجم لا أستطيع الكلام، ونظرت إليه ولم أعره جواباً سوى .. لا إله إلا الله محمد رسول الله .. وهم الرجل ليعطينى مالاً، أجر ما فعلته له فلم أشأ أنظر إلى المال، وكنت قبل ذلك أحدد أجرى وأتعابى قبل أن أذهب إلى أى منزل به شخص قيل إنه مسحور أو محسود أو مربوط، لكننى نظرت إلى عين الرجل، وخرجت على غير عادتي من منزل الرجل إلى المسجد واستقبلت القبلة وكأننى لم أدخل مسجداً قط، ونسيت أننى عندما كنت فى العاشرة من عمرى أذهب مع والدى الحاج «محمد» إلى المسجد محافظاً على الصلاة في أوقاتها، وكنت دائماً ما أنسى أوقات الصلاة أثناء لهوى مع أصحابى، فكان أبى تارة يؤدبنى وتارة يحدثنى كأننى رجل أبلغ من العمر أرذله، مما جعلنى أهرع إلى مسجد الرحمن المجاور إلى مدرستى لأداء الصلاة

وعندما بلغت التاسعة عشرة من عمري وكنت عائداً من الجامعة سمعت صراخاً وعويلاً فى منزلنا الكائن بمنطقة شبرا بالقاهرة، عندما وجدت أبي مسجى على سريره وقد فارقته روحه إلى بارئها، مشهد وفاة أبى ظل يطاردني حتى عندما تركت الجامعة، ونزلت للبحث عن عمل لأستطيع مواجهة ظروف معيشتي، ولأننى فقدت بوصلتي في الحياة متمثلة فى والدى رحمه الله، تلقفنى أحد الدجالين في المنطقة واستخدمنى مساعداً له فى جلب الزبائن، وتقصي أخبارهم حتى يستطيع أن يؤثر عليهم، ورأيت من «سيدنا الشيخ»،هذا لقبه، ما لم أره في حياتي مطلقاً، فقد كان يخلط الحق بالباطل ويمارس الدجل وكنت فى بداية الأمر اندهش بما يفعله تجاه من يطلبون مساعدته، ولكني وجدت الناس يتدافعون عليه ويلقون فى حجره الأموال، بل ومنهم من كان يُقبل أيدى وأرجل «سيدنا الشيخ» .

فى هذه الأوقات نسيت كل شيء، هجرت الصلاة والعبادة، وساعدتنى في تلك الأفعال المتناقضة التى أراها يوماً بعد يوم من الشيخ والمترددين عليه ..

ووجدت نفسي فى سن العشرين رجلاً لديه حصيلة كبيرة من الأموال والأفعال التى تساعدنى على الكسب السريع، كل ذلك قفز إلى ذهني وأنا في المسجد أحاول الاستغفار عن ذنوبى وكل ما فعلته تجاه (خلق الله) !!.

عندما خرجت من المسجد متجهاً إلى منزلى وأنا مشتاق لرؤية أطفالي وزوجتى الحامل فى شهرها السابع، شعرت برأسي يدور شيء وسمعت همسات فى أذني تناديني أن عُد وأعدل عما تفكر به، من أين ستطعم أولادك لو تركت العمل وكيف ستعيش؟؟ ..

إنها وسوسة الشيطان اللعين، فقد كنت قبل ذلك على عهد به لا أخالفه أبداً، مقابل أن يعطيني القدرة علي السحر، ولم أسلم من وساوسه حتى وصلت إلى المنزل فقطع تفكيرى عويل زوجتى فهرعت إلي الداخل ووجدت ابنى «ساهر» ينتفخ وينتفض أمام عيني، ثم فجأة شحب لونه وتحجر جسده، إنه قد فارق الحياة وانتقل إلى الرفيق الأعلى، لم تقو قدماى على حملى

وأنا أشاهد ابني يموت بدون حول لي ولا قوة، وإذ بالوسواس الخناس عاد ليمارس مهمته معي وأنا ملقى على الأرض، وأخذ يردد في أذني: «أنظر لقد فقدت ولدك بسبب معصيتك لي وتركك لعهدي، أفلا تخاف مني على باقي أهلك»، ولكني لحظتها غبت عن الوعي قبل أن يكمل الشيطان حديثه في ذهني.

ومرت ثلاثة أشهر وأنا ثابت على عهدي بالله، فقد تركت كل ما يغضبه ولزمت المسجد وتخلصت من الأموال الحرام التي جنيتها من مرافقة الشيطان، ولم يبق في منزلي أو حسابي البنكي مليم واحد.

وأصيب ابني «خالد» بمرض شديد وارتفعت حرارته حتى أُصيب بالشلل وزوجتي تبكي وتنظر إليّ ولم تستطع فعل شيء، احتسبت ابني البالغ من العمر ثماني سنوات عند الله تعالى، وكلما يوسوس لي الشيطان بأن ذلك من أفعاله أقول بصوت عال ،وأذهب لصلاة ركعتين لله، ولم أيأس ولم يصبني الجذع، وفي ذات يوم وجدت من يوقظني وينادينى باسمي، يا داود .. إن الله مطلع عليك ولن يخزيك فاستيقظت من نومي وكأنني لم أكن نائماً أبداً.

وعندما حانت ولادة زوجتي نزل الطفل ميتاً فلم أحزن، وتذكرت أن هذا دين يجب أن أسدده عندما جاءتني ذات مرة فتاة تحمل في أحشائها طفلاً من علاقة غير شرعية وبدل من نصحها ومساعدتها هداني الشيطان إلى طريقة لإجهاضها، وقد فعلت ..فهذا مقابل ذاك ..

ولم تمر ثلاثة أشهر على وفاة الرضيع حتى حملت زوجتي واستبشرت أن الله يُجزيني خيراً، وهذا جزاء التائبين العائدين إلى الله بتوبة نصوحة خالصة لوجه الله فهو مطلع على ما في الصدور، وحتى لحظتي هذه لم أعد إلى معصية الله بعودتي إلى السحر، وبدأت أحكي قصتي للناس لعلها تكون عظة لكل صاحب قلب يقظ.

٢- صراع الأشقاء

بعدما فرغت من أداء الصلاة بالمسجد، وشرعت فى ارتداء حذائى وهممت بالخروج، إذ بى أجد أمامي امرأة فى أوائل العقد الرابع من عمرها، تنظر إلىّ بشدة وتتأملنى، وكأنها تنتظرنى منذ زمن، نظرت إليها بتعجب شديد، فأشار إلىّ بعض المارة بأنها مختلة عقلياً، فتعجبت كثيراً لأننى أرى فى عينيها نضجاً لا يليق بمختلة عقلياً، فصممت على الحديث معها، لأعرف سر غموضها وسبقنى فضولى إليها، فعاجلتنى هى، قائلة: تعرف إنك تشبهه كثيراً، قلت لها بشغف من؟ فكانت إجابتها دموع وهي تقول: من أحبنى وأحببته لدرجة الجنون، عليك أن تصدق ما قاله المارة عنى، فأنا فعلاً مجنونة لأنى أحببت في زمن طغت فيه المادة على كل شىء، شردت فى كلامها المتقن الذي يكمن وراءه عقل واع لا يتناسب مع حالتها المزرية، قائلاً لها: وأنا أنتحى بها جانب الطريق ممكن أعرف حكايتك، جفت الدموع فى عينيها، وكأن الدموع انسحبت لأنها لا تستطيع التعبير عما عاشته تلك المرأة من آلام.

حكت لي كيف أنها استيقظت من نومها ذات يوم لتجد نفسها بين أشقاء لا يعرفون الرحمة .. لا يعرفون طريق الله .. وكل ما يدور فى أذهانهم كيف يجمعون المال، وكيف يحصلون علي ميراث والدهم وهو علي قيد الحياة، ولا يدركون أن هناك رباً لا يغفل ولا ينام عما يفعلون، وهناك يوم سوف يرجعون فيه إلي الله، وبدأت «ريهام» تروى لى قصتها بعد أن شاهدت نور الدنيا، وفتحت عينيها على أمها وأبيها وخمسة من الأشقاء، ثلاثة من الشباب وبنتان، ومنذ ولادتها ولا تعلم أنها سوف تكون محوراً كبيراً له أهمية فى تلك الأسرة لأنها كبيرة أشقائها، وتحملت «ريهام» المسئولية منذ صغرها، واعتمد الأب الذى يعمل فى التجارة الحرة على «ريهام» اعتماداً كلياً فى عمله، وأصبح كل شىء تديره «ريهام» منذ صغرها لثقة والدها فيها

ومع مرور الأيام كبرت «ريهام» وتخرجت فى الجامعة، وأصبحت تحمل مؤهلها العالي في يدها وفى اليد الأخرى خبراتها العملية من خلال إدارة أعمال والدها ومسئولية منزل بأكمله، وتحملت فوق أكتافها كثيراً من الهموم التى أصبحت عبئاً كبيراً عليها، ومرت الأيام وظلت «ريهام» تعطى بلا أجر .. بلا مقابل دون أن تأخذ شيئاً وكل هدفها أن تُسعد من حولها سواء كان والدها أو أشقاءها الشباب أو البنات، ولا تعلم أن الجميل الذى فعلته معهم سوف يكون رده صفعة على وجهها وضرباً وتهديداً بالقتل، إذا لم ترجع عن مصيرها التى رسمته مع شاب تعرف عليها وهى فى العقد الثالث من عمرها، وكانت تحلم بالفستان الأبيض والدبلة والكوشة والفرح والبيت والأسرة، مثل أى فتاة تمنت ذلك وحققته، خاصة أنها تعدت العقد الثالث، وكل من حولها من أصدقائها سبقوها بالزواج، وأصبح لهم بيت وأطفال، وتمنت «ريهام» أن تكون مثل باقي مثيلاتها، لكنها لا تعلم أن أشقاءها ووالدها لا يريدون لها السعادة الحقيقية، فقد أجبرها والدها على الخطوبة من قبل لشاب وكان هم والدها أن تتزوج من رجل ثرى أو صاحب نفوذ حتى يحميهم من أى أضرار يتعرضون لها فى يوم من الأيام، ودائماً كان يبحث والدها عن المال والشهرة الكاذبة، ونسى أن هناك رب العالمين، وأن الكفن ليس له جيوب وأن كل شيء بيد الله، وأبناؤه أيضاً الشباب كانوا لا يعرفون أن هناك قدراً، وأن الله رقيب وأن الله قادر على فعل أى شيء، وكانوا لا يؤمنون بتلك الأقدار، وتحولت حياة «ريهام» إلى جحيم فى خطوبتها، بعد أن علمت أن خطيبها الذى أحضره لها والدها كان يأخذ ثمن الهدايا التى يأتى بها، وكان والدها هو الذى ينفق عليه من أجل إسعاد ابنته، لكن ابنته لا تعلم أن الرجل الذى دخل بيتها وطلب يدها بناء على رغبة والدها، جاء ليستغل والدها ودخل البيت من أجل المال وليس من أجلها، وعندما علمت بذلك قامت بفسخ الخطبة، ومع مرور الأيام أراد الله أن يرزقها بإنسان صادق ومخلص، وبدأت معه قصة حب كانت تشعر بسعادة قوية وهى معه، وشعرت بأنها لأول مرة فى حياتها تقابل رجلاً وتعرف معنى الحب الحقيقي الذى تمنته ومعنى الحنان الذى افتقدته من قبل، ولم تجده مع شخص أو مع أفراد أسرتها الذين زرعوا فى قلوبهم الحقد والغل والكراهية للبشر، وحاولوا إبعادها عن هذا الشاب

وبعد مرور أربع سنوات على هذه العلاقة مع الشاب الذى اختارته، قرر أن يطلبها للزواج من أهلها، وكان هناك توافق بينهما، خاصة بعد أن علمت بإخلاصه ووفائه لها، وبعد أن أصبحت لا تستطيع العيش بدونه، إلا أن الأب والأشقاء اجتمعوا على هذه الفتاة ووقفوا فى طريق سعادتها وهاجموها بشدة على الشاب التى اختارته لدينه وأخلاقه وإخلاصه لها، وتم رفض طلب الزواج ولم تتخيل الصدمة بعد أن علمت أن هذا الشخص الذى حبها سوف يضيع منها بسبب أهلها، وحاولت تكراراً أن تُقنع أهلها بهذا الشاب، إلا أن الأهل رفضوا بشدة، وظلت المشدات تحدث بينها وبين أهلها كل يوم، وقام أشقاؤها بضربها لكى تبتعد نهائياً عن هذا الشاب الذى رسمت حياتها معه، لكنها لم تستطع فعل شىء،كما أن والدها كان يقف ضدها ويساعد أشقاءها على أن يقوموا بضربها حتى تبتعد عن الشاب الذى أحبته، وقاموا بتهديدها وبتدمير مستقبلها إن لم تبتعد عنه، وكانوا يرددون لها كلمة «الأفضل أن تكونى (عانس) بدلاً من زواجك منه »، ولم يستطع الشاب الذى يتمتع بسمعة طيبة وتدين أن يفعل شيئاً أمام هؤلاء،كما أنه لا يوجد شىء يعوقه أو يستحق رفضه، واستطردت «ريهام» وهى تبكى بشدة على حبيبها الذي أرتني صورته، حيث كان الشخص المناسب وكانت تتقابل معه كل يوم وكانت ترسم معه الحياة الوردية المليئة بالسعادة، وقالت إنه كان لا يذهب إلى العمل قبل أن يذهب إلى منزلها ويشاهدها فى الصباح وتبتسم له، وكانت تجمعهما قصة حب كبيرة شهد جميع الأصدقاء والأقارب عليها، وكان الشاب دائماً شديد الخوف والقلق عليها من أى شىء، وكان أهلها دائماً يرددون كلمة «هذا فقير ولن يستطع أن ينفق عليك وأنتى تحتاجين لرجل غني، فكيف ستتزوجينه؟» وبعد محاولات عديدة مع أهلها لم تعلم أن رد الجميل طيلة عمرها سوف يكون بهذه القسوة الشديدة من أقرب الناس لها، وتجاهل الأب مصير ابنته، ووقف بالمرصاد لها ضد الشاب، أيضاً، وظلت في صراع دائم مع أشقائها، وكانوا يهددونها بعدم حصولها على ميراث أبيها إذا تزوجت هذا الشاب وكانوا يستخدمون كل الحيل للحيلولة دون إتمام هذا الزواج، وكانت تقف مكتوفة الأيدى لا تستطيع فعل شىء

فهناك أمور ترى أنها لا تستحق لكن أشقاءها كان الطمع والجشع يملأ عيونهم، وترك الأب مصير ابنته فى أيدى أشقائها، وكانت تسوء حالة «ريهام» يوماً بعد يوم من ظلم أبيها وأشقائها، ومع كل ذلك لم يتخلى عنها الشاب وظل يدافع عن حبه وظل يتحمل هموم «ريهام» وتحمل الإهانة التى كان يواجهها من أهلها فى كل مرة يحاول التقدم فيها من جديد حتى لا يتركها وحيدة،وذات يوم أشتد مرض الأب ودخل فى مرحلة خطيرة من المرض، وطلبت منه «ريهام» أن يقف بجانبها إلا أنه كان بقوة جبروته عاد ورفض من جديد طلبها، وتحملت «ريهام» مأساتها واستسلمت للواقع الذى تعيشه، وبعد مرور سنوات تزوج أشقاؤها جميعهم، وظلت «ريهام» دون زواج ومر العمر بها، ودخلت عقدها الرابع دون أن ينظر إليها أحد وكان الشاب يراقب تصرفات أهلها وهو في حيرة ودهشة، لكن حبه لم يجعله يتخلى عنها لكنه لا يعلم ماذا يخفي القدر لحبيبته؟، فبعد أن خلا البيت عليها بدأت «ريهام» تدخل في حالة نفسية شديدة وبدأت تُحدث نفسها أثناء جلوسها في غرفتها بمفردها، واعتادت على تكسير الزجاج وأشياء كثيرة من محتويات شقتها، وعندما علم أشقاؤها بما تفعله كانت بالنسبة لهم هى الفرصة الوحيدة للتخلص من شقيقتهم، فقاموا بتقديم كوب من العصير به أقراص منومة لتناوله، لتجد «ريهام» نفسها بين أربعة جدران بمستشفى الأمراض النفسية، وبعد إفاقتها من تأثير الجرعة المخدرة التى وضعت لها بالعصير وجدت نفسها أمام مأساة حقيقية، وأن إخوتها ردوا لها جميل رعايتها لهم طوال سنوات مضت.. إقامة جبرية بالمستشفى، وانتابتها حالة هيستيرية من جراء ما وجدت نفسها عليه، وظلت تصرخ :أخرجونى .. أخرجونى من هنا، إلا أنها سرعان ما هدأت من الحالة الهيستيرية التى كانت عليها من مفعول الأدوية المهدئة التى كانت تأخذها بالمستشفى لشهور عديدة، وبعد خروج «ريهام» من المستشفى لم تستطع أن تتخلى عن أشقائها واحتضنتهم من جديد، وعادت الصراعات معهم مرة أخرى والتشاجر، ولكن في هذه المرة كانت «ريهام» قد غيرت اتجاه آمالها ومستقبلها لتقضى الباقى من عمرها فى هذه الصراعات مع الأشقاء، لتحصل على حقها من ميراث أبيها

وفى نفس الوقت وعلى الجانب الآخر ينتظر حبيبها لتتخلى «ريهام» عن صراعاتها، ليقضيا ما تبقى من العمر معاً ليعوضها عما مضى، إلا أن القدر كان له شأن آخر في قصتهما.

وبعدما استمعت لقصتها استغربت لرد فعلها وعودتها لأشقائها الذين زجوا بها فى مستشفي الأمراض النفسية دون رحمة ولا شفقة على شقيقتهم، وقلت لها: أشكرك على قصتك المشوقة، وأتمني منك أن تعودى إلى من أحبك لأنه سوف يكون أحن عليك من الذين يصارعونك على ميراث أبيك الزائل، والذى ربما أفنيتى العمر كله دون أن تصلى إليه، فالحب أغلى وأثمن من الجواهر الثمينة ومن الثروات التى لايحصيها البشر.

٣- قتيل كترمايا

كان الطقس شديد الحرارة عندما قررت فجأة أن أزور أمي في قبرها، فركبت سيارتى واتجهت إلى طريق المقبرة، وكنت أذكر أمي في نفسي طوال الطريق، وكانت الدموع تنهال من عيني حزناً على فراقها، وإذا بي أمام قبرها أدعو لها بالرحمة والمغفرة، وجذبني صراخ طفلة تبكي، فالتفت ناحيتها فإذا بها واقفة مع أمها التى كانت ترقبنى وكأنها على موعد بلقائى، وتقدمت إلىّ بسرد حكايتها دون سابق معرفة بى، وأخذنى حديثها من سبب زيارتى لهذا المكان، لدرجة أن حديثها لى أنسانى ما جئت من أجله .

فبدأت تسرد لي قصتها، حيث قالت«وسام»: إن الحب جمع بينها وبين زوجها واتفقا على الارتباط، لكن كان لأهلها رأى آخر، إذ كانوا معترضين على زواجهما فما كان منهما إلا أن هربا سوياً وتزوجا فى شقة خالته، لكن بعد فترة قليلة اضطرتهما الظروف إلى الانتقال للعيش في حجرة صغيرة ليس بها سوى القليل من الأثاث، واضطر للعمل فى بعض المهن البسيطة، ورغم عائدها القليل وحياتهما الصعبة،كان الحب يكفيهما ويغنيهما عن أى شىء، ولكن يبقى الشىء الوحيد الذى يؤرقهما ويهدد سعادتهما، وهو خشية أن يعرف أهلها مكان إقامتهما فيبطشون بهما، فكان فى كثير من الأحيان يلجأ إلى ارتداء النقاب خوفاً منهم، ولكن حدث ما لا يرجونه علم الأهل بمكانهما،وكانت المفاجأة أنهم باركوا زواجهما ورأى النور بعد أن ظل فى الخفاء مدة طويلة، وأنجبت بنتاً جميلة أضافت إلى حياتهما السرور والبهجة، ولكن لحدة مزاجه تشاجر مع أحد الأشخاص، ليجد نفسه فى السجن تاركاً زوجته تعانى مرارة العيش بدونه، وبعد فترة خرج وعمل مع والدها، ولكن الحال كان يضيق شيئاً فشيئاً، وتشاجر مجدداً ودخل السجن مرة أخرى، وعندما خرج عمل في محل خردة، وذات يوم عاد إليها ويحمل فى يده نحاساً سرقه من المحل الذى يعمل به، فغافلته وأعادت المسروقات لأصحابها قبل أن يكتشفوا السرقة ويقومون بإبلاغ الشرطة، وعندما علم بما حدث «قامت الدنيا ولم تقعد» إلاوهو محدثاً إصابة بالغة فى قدمها

وتركت المنزل على أثر هذه المشاجرة ذاهبة إلى منزل والدها، ورغم حرمانه لها من ابنتها إلا أنها قد ضاق بها ذرعاً من أفعاله غير المسئولة، ولأنه أصيب فى رأسه منذ أن كان صغيراً، فأحياناً كان يأتى بأفعال غير سوية، فقد حاول قتل طفلته لولا أن تدخل خالها وأنقذها من بين يديه متلقياً عنها الضربة، ولخوفها على مستقبل ابنتها عادت إلى المنزل حرصاً على حياتها، ولكنه أبداً لم يتعلم من أخطائه، فقد سرق ٢٠ ألف جنيه من محل كشرى ومحل كهرباء وأخفاه فى منزل والده دون علمها، ولكنها عندما علمت أصرت على إنهاء حياتها معه إلى الأبد، وذهبت إلى منزل أبيها مصرة على طلب الطلاق لكنه رفض، وبعد ذلك دخل السجن من جديد فقامت برفع دعوى خلع منه، وكان الحكم لصالحها وعندما علم هرب من السجن وحاول إقناعها بالرجوع إليه، لكنها رفضت وتزوجت من آخر، وخرج من السجن بريئاً من التهم الموجهة إليه، وعندما علم بزواجها ضاقت به الدنيا ذرعاً وغادر البلاد مسافراً إلى أمه فى لبنان، ليصبح «محمد» بعد شهور قليلة قتيل قرية «كترمايا» الشهير، حيث تم اتهامه ظلماً فى قضية زنى بإحدى السيدات اللبنانيات، وتم القبض عليه من قبل أهل هذه القرية موقعين عليه حكمهم بالموت ومنزلين به أشد ألوان العذاب، حيث انهالوا عليه ضرباً بالعصى والحجارة، وقاموا بصلبه على عمود كهرباء، ليكون عبرة لكل من تسول له نفسه ارتكاب مثل هذا الفعل.

ومنذ وفاته وحتى هذه اللحظة لم أستطع الحصول على حقه في الظلم الذى وقع عليه، ومازالت ابنتى حزينة على أبيها، وتسألنى دائماً عنه وفى كل مرة أحاول أن أبرر لها غيابه، ومازلت أعيش المأساة بمفردى وتحملت معاناة كسب قوتى والإنفاق على نفسى وابنتى دون أن أجد من يعاوننى على ذلك

وهكذا كانت حكاية «وسام» بمثابة صدمة لى، كأن القدر أراد لى أن أعيش ألمين ألم فراق أمى وألم ظلم الطفلة وأمها،وأخذت سيارتى وتركت المكان متألماً لما سمعته.

٤- عم سيد

فى بقعة شعبية من أرض هذا الوطن نجد نموذجا لرجل مصرى تربى على تقاليد وأعراف وأصول هذا البلد، وقد ورث أولاده أيضاً كل ما تعلمه وتربى عليه، هذا الرجل هو «عم سيد» الرجل المصرى البسيط.. البالغ من العمر ٦٥ عاماً، وهو الآن بالمعاش، وكان متعود يصحى كل يوم الصبح حوالى الساعة السادسة، ولما بيصحى أول حاجة بيعملها يتوضأ ويصلى ركعتين لله، وأحيانا زوجته «أم أحمد» بتصحى معاه تقول له مش عاوز حاجة ياحاج، يقول لها ربنا يخليكى نامى إنتى وهى مطيعة وبتسمع الكلام لأنها ست طيبة جداً، بتحب جوزها وعيالها الأربعة تلاث بنات وولد، اللى بيجرى عليهم« عم سيد»، عشان يعيشهم فى أحسن عيشة، ابنه « أحمد» هو الأكبر

عنده ٣٥ سنة شغال موظف بسيط على أد حاله، نفسه يتجوز ويعيش حياته مثل أى شاب، لكن ظروف الحياة صعبة، بيعافر مع الحياة، ولكن يا دوب المرتب اللى بياخده بيصرف جزء على نفسه والجزء التانى بيساعد بيه أبوه فى البيت، وكمان بيصرف على إخواته البنات واحدة فى الجامعة واتنين خلصوا تعليم وقاعدين فى البيت، « عم سيد» نفسه يجوز بناته، لكنه منتظر ابن الحلال اللى ييجى ويعرف يحافظ عليهم لأنهن على خلق ودين وملتزمات جداً، وكل واحدة منهن لابسه الحجاب من الابتدائية، أصل « عم سيد»رجل بيعرف ربنا، وعرف يربى ولاده على الدين والخلق الطيب، «عم سيد»متعود لما بينزل من بيته يعدى على عم «محمد» بتاع الفول اللى واقف على ناصية الشارع بعربية صغيرة، وياخد من عنده سندوتشين فول ويقعد على القهوة مع «عم حمزة» يشرب كوباية شاى بحليب ويفطر، وبعد كده يروح على شغله، وطول عمره ملتزم فى مواعيد عمله، وكان محبوباً فى عمله جداً، أول لما بيروح شغله بيسلم على كل الناس اللى هناك، ولما حد كان بيتعب من زملائه كان بيروح يزوره، لأن «عم سيد»رجل بيفهم فى الأصول جداً

والشيء ده كان محبب الناس فيه قوى ، وهو كمان كان لما بيتعب أو يغيب يوم عن الشغل معظم زملائه كانوا بيروحوا البيت ويسألوا عنه، حتى بعد ما خرج على المعاش وده كله كان ردا لجمايله عليهم، « عم سيد» أصله كان مجامل قوى لمعظم أصحابه، لأنه كان بيعامل الناس من غير هدف، كان بيعاملهم بحب من جواه .. بيعاملهم بالحسنى .. ومش منتظر حاجة من حد، فى يوم من الأيام «عم سيد» نزل بدرى مش عارف يروح فين ولا يجي منين ما هو على المعاش وفاضى ومعندوش حاجة يعملها، نزل الشارع وقال يمكن ألاقى «عم حمزة» أقعد معاه شوية على القهوة ونتسلى بدل الجلوس فى البيت والملل اللى أنا بقيت فيه، بعد ما بقيت على المعاش، لكن للأسف فوجىء بأن «عم حمزة» توفى، وعرف الخبر ده عندما سأل بعض الناس على «عم حمزة» فى القهوة وتأثر جداً والدموع نزلت من عينيه وحس ساعتها إنه خلاص هو كمان أجله قرب، والكل راجع إلى الله عز وجل وجلس على القهوة حزينا ومتأثرا وطلب فنجان قهوة بدل الشاى بحليب.. وحس إنه عاوز يركز فى شيء ويسرح فيه لكن هو إيه مش عارف، «عم سيد»وهو جالس يشرب القهوة دمعت عيناه وفضل يبكى وجاله «شوقى» القهوجى، وقال له: مالك يا «عم سيد» بتبكى ليه، رد عليه وقال له: «عم حمزة» كان عزيز عليا وكان رجل طيب وأنا مصدقت لقيت واحد فى نفس ظروفى على المعاش وهيانس قعدتى على القهوة فترة الصبح بدل ما اقعد لوحدى، «شوقى القهوجى» قال له معلش يا « عم سيد»كلنا لها وادعيله ربنا يرحمه لأنك رجل طيب وربنا هيقبل منك الدعوة، «عم سيد» نظر فى وش شوقى وقال له: ربنا يرحمه ويرحمنا احنا كمان، «شوقى» حط إيده على كتف «عم سيد» وطبطب عليه وباس راسه وقال له والله انت رجل طيب يا «عم سيد»وأنا بحبك زى أبويا الله يرحمه، «عم سيد» قام بضم «شوقى» فى حضنه، وقال له: ربنا يكرمك ياشوقى أنت طيب وابن حلال وتستاهل كل خير خلى بالك من نفسك يابنى أديك شايف حال الدنيا، وأوعى يا شوقى تزعل حد منك وأوعى تعمل شيء يغضب ربنا علشان ربنا يكرمك فى حياتك وبعد ما تموت الناس تفتكرك فى الخير، «شوقى» الدموع نزلت من عينيه وساب «عم سيد» يشرب القهوة وراح يشوف زباينه، «عم سيد» بعد ما شرب القهوة حاسب عليها

وشوقى ماكنش عاوز يأخذ منه فلوس، لكن«عم سيد» قال له: خد وماتزعلنيش منك يا شوقى، ومشى«عم سيد» ومش عارف رجليه هتوديه فين وكانت الساعة وصلت تقريباً العاشرة صباحاً، وفجأة لقى «عم سيد» واحد بينادى عليه وبيقول: يا حاج يا حاج «عم سيد» نظر حواليه لقى رجل راكب عربية فخمة بينادى عليه نظر إليه، وقال: فى ذهنه ياترى عاوز إيه ده مني رجعله «عم سيد» وقال له: نعم يا بيه عاوز حاجة، الرجل اللى جوه العربية قال له: أنت منين يا حاج، قال له: «عم سيد» ليه يابيه بتسأل، قال الرجل: معلش ما تزعلش من سؤالى يا حاج رد عليه «عم سيد»وقال له: وهزعل ليه يا بيه ولايهمك على العموم أنا من «بولاق الدكرور» قال له: اسمك إيه قال له: «سيد»، قال له: «عم سيد» أنا قاعد فى عربيتى من الساعة السابعة صباحاً ونفسيتى تعبانة أوى أنا رجل أعمال مشهور وليا اسمى فى السوق وعندى مشاكل كتيرة فى حياتى مش عارف أعمل إيه، رد عليه « عم سيد»وقال له: ربنا يعينك طب أنا أقدر أساعدك فى حاجة يا بيه، رد عليه الرجل وقال له: ممكن تعتبرنى زى ابنك وتتكلم معايا، أنا توسمت فيك الخير مش عارف ليه، رد «عم سيد»وقال له: يا بيه أنا فين وأنت فين أنا رجل بسيط وغلبان بقى معقولة هتقعد معايا وتحكيلى عن اللى جواك، قال له: وإيه المانع بس معلش اسمك لحسن نسيت قال له: «سيد» يا بيه «سيد»، قال له: معلش يا «عم سيد» متأخذنيش إنى لحقت أنسى اسمك أتفضل إركب يا «عم سيد»معايا نروح أى مكان نقعد فيه ونتكلم، «عم سيد»حس بخوف وكان متردد يركب العربية مع الرجل الغريب اللى مش عارفه، وفضل واقف ينظر على باب العربية ومستغرب، رد الرجل وقال له: إركب يا «عم سيد»ما تخافش أنا بقولك اعتبرنى ابنك وأنا حاسس إنك فى مقام والدى، «عم سيد»بدأ يحس بالأمان وفتح باب العربية وركب وأول لما ركب العربية قال: بسم الله ما شاء الله ربنا يزيدك يا بيه من نعيمه وينعم عليك بالحلال، نظر له الرجل وقال له: أنا اسمي «باسم»يا حاج قال له: ربنا ينعم عليك يا « باسم»بيه إنت شكلك ابن ناس أوى ومن الأكابر، رد عليه « باسم»

وقال له: الأكابر يا عم سيد مش مرتاحين رغم إن معاهم ملايين، لكن للأسف في فترة من الزمن اكتشفت إن الفلوس مش كل حاجة في الدنيا وإن فيه حاجات كتيرة أهم من جمع الأموال وشيلها في البنوك وطلع «باسم» بالعربية، وقال له: «عم سيد» تحب تروح فين يا «عم سيد»، رد عليه «عم سيد» وقال له: نروح مكان يجمعنا فى محبة الله نظر له « باسم»، وقال له: مش فاهم يا «عم سيد»تقصد إيه، رد «عم سيد» وقال له: نقعد فى مسجد والمسجد ده بيت الله وده أحسن مكان ممكن نتكلم فيه وتفضفض وتقول اللي جواك لربنا، «باسم» قال له: تفتكر فيه مساجد فاتحة دلوقتى يا «عم سيد» اعتقد لسه بدرى، رد «عم سيد»وقال له مساجد الله إذا نويت الدخول لها بنية صافية هتلاقى كل البيبان مفتوحة يا «باسم» يا بنى، رد «باسم» وقال له: تيجى نروح مسجد الأزهر، رد «عم سيد» وقال له ياريت وكانت الساعة تقريبا اقتربت الحادية عشرة صباحاً وفعلاً راحوا مسجد الأزهر، ولما «باسم»وصل ملقاش مكان يركن فيه العربية الفخمة بتاعته، وسأل «عم سيد» ياترى إركن فين يا «عم سيد»،رد عليه وقال له: إن شاء الله ربنا هيسهلها اطلع شوية قدام كده يمكن تلاقى مكان فاضى طلع فعلا، «باسم»وفضل ماشى لحد ما لقى أمامه ساحة انتظار سيارات ودخل فيها وركن عربيته، ونزل من العربية ونظر لــ«عم سيد» وقال له: أنت رجل بركة يا «عم سيد»، رد عليه «عم سيد» وقال له: الله يباركلك يابنى هو كل ما فى الأمر إننا محتاجين نقرب لربنا شوية وهو هيكرمنا فى كل حاجة، قال له: والله يا «عم سيد» فعلا الدنيا والمال والشهرة بتأخذك من كل حاجة حتى من ربنا، وفضل ماشى «عم سيد»مع « باسم» حتى وصل المسجد الأزهر، وخلع «عم سيد»حزاءه ودخل برجله اليمنى و«باسم» وقف ثوانى، نظر له « عم سيد»، وقال له: أدخل يا بنى إن الله غفور رحيم متخافش من ربنا وقرب علشان ربنا يقربلك، خلع «باسم»حزاءه ودخل برجله الشمال، «عم سيد» نظر له قوى واستغرب وقال له: لما تدخل بعد كده المسجد إبقى أدخل برجلك اليمين يابني، رد «باسم» وقال له: حاضر يا«عم سيد».. «عم سيد» نظر فى وش « باسم»

وقال له :شوفت بقى يا «باسم» ربنا فتحلك بابه إزاى والمسجد مفتوح ضحك «باسم»وأخذ «عم سيد» في حضنه، وقال له: أنت ربنا بعتك ليا نجدة يا «عم سيد» وأنت رجل صالح وتستاهل كل خير، رد «عم سيد» وقال له: ربنا يهديك يا بني ويجعلني سبب هدايتك قال له: إن شاء الله يا «عم سيد»، نظر «عم سيد» لـــ«باسم» وقال له: تعالى نروح نتوضأ ونصلي ركعتين لله تحية المسجد، «باسم» نظر له وقال له: «عم سيد» عاوز أقولك حاجة ومكسوف منك رد «عم سيد» وقال له: قول يا بنى أنا زى أبوك ما تتكسفش منى، رد «باسم» وقال له: أنا مبعرفش أتوضأ «عم سيد» ضرب كف على كف، وقال: سبحان الله وسأل «باسم» وقال له إنت مسلم يا «باسم» قال له: طبعا يا «عم سيد» الحمد لله إنت عندك شك فى ده، قال له: وإزاى مبتعرفش تتوضأ؟ قال له: يا «عم سيد» عيشة الأغنياء ما بتفكرش في أمور كثيرة وكل همهم البزنس وبس، قال له: «عم سيد» يابنى ما فيه ناس منهم بتصلى وبتاعت ربنا، قال له: معلش يا «عم سيد» علمنى بقى إزاى أتوضأ قال له: حاضر تعالى يا بنى وفعلا «عم سيد» علمه إزاى يتوضا، وبعد الوضوء وقف «باسم» مش عارف يعمل إيه، «عم سيد» خده من إيده وقال له: يللا صلى ركعتين لله وأنا هصلى وبعدها نتكلم، وسأل «باسم» وقال له: بتعرف تصلى ولا أعلمك ازاى ؟ رد «باسم» وقال له: لا يا«عم سيد» أنا عندى معلومات عن الصلاة، رد عليه «عم سيد» وقال له هى صلاة ربنا بقت معلومات من غير فعل، قال له: معلش يا«عم سيد»، قال له: طب صلى وبعد ما صلى«عم سيد» وصلى«باسم» جلس «عم سيد» فى ركن ونادى لـــ«باسم» وقال له: تعالى يابنى قرب منى وقرب«باسم» وقال له عارف يا «عم سيد» أنا حاسس إن فيه شيء جوايا غريب أوى بس مش عارف إيه هو بعد ماصليت الركعتين، حاسس إن في نور أمامى ونور بداخلى وحاسس إنى بحب ربنا أوى، قال له: «عم سيد» كان لازم تعمل ده من زمان وتقرب لربنا يابنى علشان ربنا يكرمك في حياتك وما تشلش هم أى شيء وتكون حزين زى ما أنا شايفك رد «باسم»

وقال له: غصب عنى يا «عم سيد» أنا اتولدت لقيت فى بقى معلقة ذهب وأبويا رجل أعمال كبير وعنده أملاك وكنت مرفه من صغرى وأنا عندى دلوقتى ٣٠ سنة ما تجوزتش بسبب البزنس ومشاغل الحياة أخذتنى من كل حاجة، وكان كل همي أن أجمع فلوس إزاى معرفش بأى طريقة وبأى وسيلة والناس الغلابة اللي زيك وزى غيرك يا «عم سيد» هما اللى بيدفعوا الثمن وهما الضحية، وأنا واحد من الناس اللى بينهب حقهم فى حاجات كتيرة، وببيبع ليهم حاجات أحيانا مش بتفيدهم وبتضرهم وللأسف مش لوحدى اللى بعمل كده، ده معظم رجال الأعمال ورجال كبار فى البلد كده يا عم سيد ما بيعرفوش يعنى إيه رجل فقير وغلبان، ما بيعرفوش يعنى إيه فقر لأنهم عايشين فى غناء فاحش ولا يعرفون حتى ربنا أحيانا، يا «عم سيد» كانت فى حاجات كتير لصالح ناس غلابة وكنت بستولى عليها علشان أكبر فى السوق ورصيدى يكبر وكل ده والدى هو اللى علمهولى من صغرى، علمنى إزاى أدوس على اللى تحت منى علشان أوصل وأكون فوق.. فوق أوى، لكن للأسف حسيت فى فترة إنى مخنوق ومش عارف أعمل إيه وسألت نفسى ياترى بعد كل المال اللى جمعته ده وكل الثروة اللى عندى هروح بيها فين، فى الآخر كلنا هنموت وهنسيب كل حاجة، خصوصا إن عمى لسه متوفى من كام يوم ووفاته أثرت فيا أوى يا«عم سيد» وترك كل أمواله لزوجته لأنه كان ما بيخلفش، وعنده ثروة كبيرة وما حدش استمتع بيها ولم يأخذ حاجة من الدنيا غير كفنه ولما مات فكرت كويس، وقلت أنا كمان هكون زيه كده في يوم من الأيام، وربنا هياخذ روحى برضه بدأت أصحى من النوم اللى كنت نايم فيه، والحلم اللي كنت بحلمه إني أوصل لأعلى مرتبة وأكون مشهور أكثر فأكثر، لكن للأسف عمى أخد إيه ولا حاجة وأنا هكون زيه برضه وغيره وغيره هيكون زيه كلنا هنموت يا«عم سيد» صح ولا ..رد «عم سيد» وقال له: صح يابنى «عم سيد» نظر في عين «باسم»، وقال له كمل يابنى أنا سامعك، رد «باسم» وقال له: يا«عم سيد» أنا جوايا كتير أوى بس مش عارف أعمل إيه ياترى فكرك ربنا هيسامحنى يا «عم سيد» على كل حاجة عملتها؟ رد عليه «عم سيد»

وقال له: إن الله غفور رحيم يا «باسم» وربنا بيقبل توبة العبد إذا تقرب العبد له وطلب منه الرحمة والمغفرة وإنت يا «باسم» النهارده فى بيت ربنا وجيت تفتح صفحة جديدة لعل وعسي يهديك إلي طريق الخير وتكون أيامك كلها خير وبركة، يا «باسم» قوم يابنى الظهر أذن تعالى نصلى الظهر ونتكلم بعدها وبعد ما انتهى «عم سيد» و«باسم» من الصلاة خرجوا من المسجد ووقف «عم سيد» أمام «باسم» وقال له: أنا تعبت ومحتاج أروح يا بنى لأن «أم أحمد» كده هتقلق عليا، «باسم» نظر لـــ«عم سيد» وقال له: مين «أم أحمد» دى يا «عم سيد» قال له: دى زوجتى وأم عيالى يابنى عقبال ما ربنا يديلك زوجة زيها كده وتكون بركة وطيبة وصالحة زيها قال له: يارب يا«عم سيد» فعلاً نفسى ربنا يدينى زوجة تكون بنت حلال وما تكنش غنية لأنى زهقت من بنات الأغنياء، وزهقت من العادات والتقاليد وعايز أغير كل حياتى يا«عم سيد» وأكون إنسان تاني، رد «عم سيد» وقال له: قرب لربنا يابني وصلى وما تفوتش فرض ربنا علشان ربنا يكرمك فى حياتك وزكي علي الفقراء واعمل خير كتير وعوض اللى إنت أخذته من الغلابة وأعطيهم مما أعطاك الله، رد «باسم» وقال له: إزاى يا «عم سيد» قال له: حسب اللى يطلع من ذمتك وضميرك يابنى شوف إنت أخذت منهم إيه ورجعه تاني وأكيد ربنا هيعوضك أكتر من اللى أخذته، رد «باسم» وقال له: حاضر يا«عم سيد» إنت فعلا ربنا بعتك ليا نجدة وأنا هغير من نفسي إن شاء الله، وأنا من النهارده فعلاً بقيت إنسان جديد علي إيدك وظل الحديث مستمرا حتى وصلوا للسيارة وركبوا وأول ما «عم سيد» ركب السيارة «باسم» قال له: تسمح لى أوصلك لحد البيت يا«عم سيد» وتسمح لى آجي معاك وأشوف إنت عايش فين، رد عليه «عم سيد» وقال له: تفتكر إنك ممكن تدخل بيت رجل غلبان زى حالاتى وتقعد فيه يابني، رد «باسم» وقال له: «عم سيد» أنا إنسان مخلوق من تراب وهرجع للتراب أنا النهارده بتولد من جديد على إيدك علشان أكون إنسان تانى إنسان بمعني الكلمة، ورجل ابن بلد وشهم عاوز أتعلم كل حاجة على إيدك يا«عم سيد»، قال له: براحتك اتفضل يابني اطلع على «بولاق الدكرور» قريبة من المكان اللى إنت أخذتني منه وأنا هوصفلك وإحنا هناك مكان البيت حتى عشان متهش فى الطريق،

وفي خلال ربع ساعة بالعربية الفخمة كان «عم سيد» فى بيته، لما وصل البيت «عم سيد» قال: لــ«باسم» أنا يابني كنت بروح بيتي في ساعة ونصف كل يوم من زحمة المواصلات وشوف النهارده سبحان الله روحتنى فى أقل من نصف ساعة، رد «باسم» وقال له: أنا من النهارده تحت أمرك في أى حاجة يا«عم سيد»، رد «عم سيد» وقال له: يابني الأمر لله وحده وربنا يقدرنى وأقدر آخد بإيدك إلى طريق الخير اتفضل يابني إنزل ده بيتى المتواضع اتفضل، ودخل البيت «باسم» ووقف على السلم و«عم سيد» قال له: استنى يابني لما أدى «أم أحمد» خبر إن فى ضيف معايا قال له: براحتك يا «عم سيد»، دخل «عم سيد» وقال لــ«أم أحمد» أنا معايا ضيف يا «أم أحمد» وهنقعد شوية وعاوزك تقومى بالواجب، ردت «أم أحمد» وقالت: مين يا حاج ! قال لها هقولك بعدين.. ردت «أم أحمد» وقالت له: حاضر يا حاج، «عم سيد» طلع على السلم ونادى على «باسم»، وقال له: تعالى يا «باسم» يابنى أدخل، دخل «باسم» وفضل ينظر على كل مكان فى شقة «عم سيد» اللى كلها على بعضها حجرتين وصالة «عم سيد» و«أم أحمد» بيناموا فى حجرة و«أحمد» بينام فى الصالة على الكنبة والبنات بتنام في الحجرة الثانية، والباقى مطبخ وحمام، «باسم» قال له: عيشتك بسيطة جداً يا «عم سيد»، رد «عم سيد» قال له: الحمد لله يابنى دى أكبر نعمة من ربنا عليا، رد «باسم» وقال له: هى البساطة دى نعمة ياعم يا سيد، قال له طبعا يابنى ودى أكبر نعمة من ربنا لأن الناس اللى معاها فلوس هتتحاسب جابتها منين وصرفتها فين، لكن أنا رجل غلبان على قد حالي، رد «باسم» وقال له: ربنا يكرمك يا «عم سيد» إنت رمز للأصالة والطيبة ورمز للرجل المصرى البسيط اللى بيحمد ربنا على كل حاجة ونادى «عم سيد» على «أم أحمد» من المطبخ وقال لها تعالى سلمى على الأستاذ «باسم» يا «أم أحمد» لفت الطرحة علي رأسها وطلعت، وقالت: إزيك يا ابنى، رد عليها «باسم» وقال لها: الله طالعة من فمك جميلة ابنى دى يا «أم أحمد»، نظرت لأبو «أحمد» واتكسفت من الرجل الغريب اللى حست إنه بيغازلها فى كلامه

رد «عم سيد» وقال لها: «باسم» يا «أم أحمد» من الناس الطيبين وابن ناس ورجل أعمال كبير وصاحب مركز فى البلد وعايزك تقومي معاه بأحسن واجب لأنه ضيفنا النهارده، ردت «أم أحمد» وقالت: عينيا يا «أبو أحمد» انت تأمرنى، قال لها: «عم سيد» الأمر لله وحده جريت على المطبخ «أم أحمد» ومش عارفة تعمل إيه لـ «باسم» ومحتارة تقدم له إيه وفضلت تسأل نفسها يا ترى الكوبيات اللى عندنا ينفع أقدم له فيها حاجة ولا أعمل إيه، ده شكله بيه كبير وإحنا على أد حالنا الست الطيبة سابتها على الله ودخلت تجرى على حجرة البنات، وقالت: للبنات ولادها أبوكم جايب واحد صاحبة بره زى القمر، رجل بيه كده ومالى مركزه، ردت ابنتها « عبير» الكبيرة، وقالت لها مين ده ياماما، ردت وقالت: والله ما عرف ده لسه جاى مع أبوكم وبيقول اسمه «باسم» وابن ناس أكابر ورجل أعمال، «أم أحمد» نظرت لــ « عبير» ابنتها وقالت: ما تيجى يا «عبير» تسلمى عليه وتعملي معايا حاجة فى المطبخ، «عبير» نظرت فى الأرض، وقالت: لا يا ماما أنا اتكسف أطلع على رجل غريب معرفوش، ردت «أم أحمد» وقالت: أكيد يا «عبير» ده رجل كويس ومحترم ولو مش محترم ماكنش أبوكي دخله البيت ردت «عبير» وقالت: حاضر يا ماما اللى انتى عايزاه هعمله، وقبلت يد أمها، ولبست عباية وعليها طرحة وخرجت ووشها فى الأرض، «عم سيد» نادى عليها وهى خارجة وقال لها: تعالى سلمى يا «عبير» على الأستاذ «باسم» قالت: «عبير» حاضر يا بابا، «عبير» قربت لـــــ«باسم» ووشها فى الأرض وجسمها كله بيرتعش من الخوف والكسوف ومش عارفة تعمل إيه، لكن أوامر أمها وأبوها مطاعة لأنها تعلم طاعة الوالدين جيدا، «باسم» نظر فى وشها وقال: ما شاء الله يا«عم سيد» ربنا يباركلك فيها وفى أولادك، رد «عم سيد» وقال له: ربنا يخليك يا «باسم» وقال له: دى بقى بنتى «عبير» وعندى «أسماء وشيماء» أصغر منها و«أحمد» الكبير قال له: ما شاء الله ربنا يخليك ليهم يا «عم سيد»، ورد «باسم» وقال له: ياترى فيه حد متجوز منهم يا«عم سيد»، رد عليه «عم سيد» وقال له: لا يابنى لسه ربنا لم يأذن حتى الآن، وأنا مش عاوز أدى بناتى لأى حد لأنهم متربيين على خلق ودين زى ما إنت شايف

قال له: «باسم» ونعمة التربية يا«عم سيد» وعلشان كده ربنا مبارك لك فيهم، «أم أحمد» عملت عصير ليمون وقالت لـ«عبير» دخلي العصير إنتي ردت «عبير» وقالت لها: أنا مكسوفة يا ماما أوى قالت: «أم أحمد» ما تتكسفيش يا «عبير» طالما أبوكي موجود يا بنتي جنبه، خرجت «عبير» من المطبخ وقدمت العصير لـ«باسم»، و«باسم» نظر في وشها وجاله إحساس غريب إنه أول مرة يطمئن لبنت من أول نظرة بدأ يشعر بارتياح شديد تجاه «عبير»، جريت «عبير» على حجرتها وجلست على السرير تحكى لأسماء وشيماء عن «باسم» وتقول لهم ده زي القمر أنا مش عارفة بابا يعرفه منين، وأنا كنت خايفة جداً وأنا بقدم له العصير، ردت شيماء وقالت لـ«عبير» مالك يا «بيرو» متلخبطة كده ومش على بعضك ليه، ردت «عبير» وقالت: عادى يابنتي مافيش حاجة أسماء قالت: لا يا «بيرو» شكلك بيقول إنك مش على بعضك ردت «عبير» وقالت: يا جماعة والله عادى مافيش حاجة، دخلت عليهم «أم أحمد» وقالت لـ«عبير» ربنا يرزقك يا بنتى ويكرمك ويديلك على قد نيتك إنتي وإخواتك يا رب، «عبير» أخدت أمها في حضنها أوى وقالت لها: أنا بحبك أوى يا ماما ، ردت أمها وقالت: وأنا كمان يا بنتى بحبك وبحبكم كلكم ونفسى أفرح بيكم أوى وأشوفكم عرايس في بيوتكم، قامت «عبير» نظرت في عين مامتها وقالت لها يارب يا ماما وابتسمت ابتسامة رقيقة مثلها لأنها تتمتع بجمال فاتن ومتدينة هى وإخواتها وبيصلوا الفرض فى ميعاده، كما عودهم «عم سيد» عليها من صغرهم، الباب خبط «عم سيد» قال لـ«باسم» ده تلاقيه «أحمد» ابنى هو اللى على الباب ونادى على «أم أحمد» وقال لها: تعالى افتحى الباب يا «أم أحمد»، وفتحت الباب وفعلا «أحمد» اللى كان على الباب، وكان لسه جاى من شغله وسلم على أبوه وباس إيده وسلم على «باسم» و«عم سيد» قال له «أحمد» ابنى وقال لـ«أحمد» ده الأستاذ «باسم» صديقي يا «أحمد» قال له أهلا بيك يا أستاذ «باسم» قال له: أهلا بيك يا «أحمد» تركهم «أحمد» وقال لهم عن إذنكم أدخل أغير هدومى

دخل «أحمد» يغير هدومه فى حجرة أبيه، وبعدها بشوية دخلت أمه وراه الحجرة وقالت: حمد الله على السلامة يا بنى قال لها:«أحمد» الله يسلمك يا ماما هو مين «باسم» اللى مع بابا ده، ردت أمه وقالت: ده يابنى واحد صاحب أبوك وأنا لسه معرفتش عنه حاجة!! غير إنه رجل أعمال وابن ناس بس، أبوك لما يخلص معاه هيحكلنا كل حاجة يا «أحمد» ما تستعجلش يا ابنى أحضرلك الغداء قال لها «أحمد» أنا هستنى بابا لما يخلص وآكل معه ولا هو تناول الغداء، ردت وقالت: لأ لسه يا بنى ، قال لها: طيب أنا هاخرج أقعد معاهم شوية، وخرج «أحمد» وقعد مع «باسم» وأبوه وقال لــ«باسم» نورت بيتنا يا أستاذ «باسم»، رد «باسم» وقال له : مرسى جداً يا «أحمد» معلش إنى جيت بيتكم من غير ميعاد، رد «أحمد» وقال له: البيت بيتك يا أستاذ «باسم» وبابا عمره ما بيعرف حد وحش لأنه رجل طيب وربنا بيوقعه فى الناس الطيبة اللى زيه، رد «باسم» وقال له: فعلا يا «أحمد» أبوك رجل طيب جداً وربنا يكرمك بيه، رد «أحمد» وقال له الحمد لله ممكن بقى نعزمك على الغداء معانا ولا إحنا مش قد المقام، رد «باسم» وقال بالعكس أتمنى إنى أكون واحد منكم وآكل معاكم نادى «أحمد» على أمه وقال لها: حضرى الغداء لأن الأستاذ «باسم» هياكل معانا، وحضرت «أم أحمد» الأكل، وبعد الأكل قال «باسم» لـ«أم أحمد» أنا أول مرة فى حياتى أحس إنى أتناول طعام بحق، وأحس إن الأكل ليه طعم غير اللى أنا متعود عليه، ردت «أم أحمد» وقالت بألف هنا وشفا يا بنى مع إنى ما كنتش عاملة حسابى فى الأكل وهى لقمة بسيطة، رد «باسم» وقال: لا بجد تسلم إيدك يا أحلى أم وربنا يخليكى لأولادك ولـ«عم سيد»، ردت «أم أحمد» وقالت شكراً يابنى وندهت على «عبير» تشيل الأكل من على الترابيزة البسيطة اللى كان عليها الأكل، وبعد ما غسل «باسم» إيده فى الحمام وخرج قال لــ«عم سيد» أنا لازم أمشى دلوقتى يا «عم سيد»، وأنا عاوزك تشرفنى بكره إن شاء الله فى الشركة عندى أنت و«أحمد»، رد «عم سيد» وقال له: ما تخليها وقت تانى يا «باسم» رد «باسم» وقال له بلاش تكسفنى يا «عم سيد» وأكتب لى العنوان ورقم تليفونك يا «أحمد» علشان أبعتلك السواق بكره يجيبكم من البيت بالعربية

ابتسم «عم سيد»، وقال له: حاضر يا «باسم» ، وقال «باسم» لـ«أحمد» أكتبلى العنوان وأدينى رقم «عم سيد» قال: «عم سيد» معلش يا «باسم» أصل أنا ما بشلش تليفونات يابنى لأنى ماعنديش حد مهم يتصل بيا، ضحك «باسم» وقال له: إن شاء الله يكون عندك ناس مهمة يا «عم سيد» مش عاوز حاجة منى ؟ رد «عم سيد» قال له: عاوز سلامتك يا ابنى، وخرج «باسم» ونزل وركب عربيته واتجه لفيللته فى مدينة ٦ أكتوبر وأول لما روح بيته أخد دش وغير هدومه ودخل نام وصحى من النوم على حلم غريب أوى، وفى الحلم شاف إنه بيحب بنت «عم سيد» «عبير» وإنه اتجوزها وخلف منها وكانت حياته سعيدة، وأول لما صحي من النوم فرح جداً بالحلم ده، وأول لما راح شركته بعت السواق بتاعه يجيب «عم سيد» من بيته، «عم سيد» فعلا راح الشركة، وأول لما دخل قال: بسم الله ما شاء الله و«أحمد» كان معاه، وقال لأبوه: ياه بقى «باسم» ده صاحب الشركة الفخمة دى يا بابا، رد «عم سيد» وقال له: آه يابنى ربنا يديله من نعيمه ويكرمه ودخل مكتب «باسم»، وقال له: أزيك يا «باسم» قام «باسم» من على الكرسى وحضن «عم سيد» وقبله وقبل «أحمد» وأخده بالحضن وقال لهم: اتفضلوا وجلسوا أمامه وقال لـ«عم سيد» أنا فرحان إنك شرفتني يا «عم سيد» وقبلت دعوتى، وكان نفسى تكون إنت وأولادك كلهم مشرفينا النهارده، رد «عم سيد» وقال له: إن شاء الله يابنى، طلب «باسم» ساعى مكتبه يجيب كل اللى نفسهم فيه وبعد ما ضايفهم، قال: لـ«عم سيد» أنا نفسى تقرب منى أوى يا «عم سيد» وتكون معايا على طول رد «عم سيد» وقال له: إزاى يابنى رد «باسم» وقال له إيه رأيك يا «عم سيد» أشغل «أحمد» عندى فى الشركة بمرتب كويس وإنت كمان يا «عم سيد» تشتغل الحاجة اللى إنت عايزها هنا، رد «عم سيد» بكل قناعة، وقال له: لا يابنى أنا رزقى اللى ربنا بيرزقنى بيه بحمد ربنا عليه ومش عاوز أكتر منه والحمد لله على كل حال، و«أحمد» ابنى راضى جداً بشغله، وسأل «عم سيد» «أحمد» وقال له: تحب تشتغل هنا مع «باسم» بيه فى الشركة، رد «أحمد» وقال له: يا بابا أولاً يسعدنى إنى أكون مع «باسم» بيه، لكن زى إنت ما قلت فى كلامك الحمد لله على الرزق اللى ربنا بيبعته لينا وأنا مرتاح فى شغلى ويكفينا صداقتك وثقتك فينا يا أستاذ «باسم»

ابتسم «باسم» ابتسامة خجل وحس إن الناس دى عندها قناعة غير عادية وأن عندهم أصالة ويملكون إيماناً قوياً بالله، فرح وقال: الحمد لله على كل حال وقال: لـ«عم سيد» أنا كان نفسي أقرب منك أوى يا «عم سيد»، لكن يظهر إن عندك مبادئ وقيم وإنك راضي بما قسمه الله لك وأنا بحييك على ده أوى يا «عم سيد»، وكان نفسي تكون والد ليا، أنا فعلاً بحسدك يا «أحمد» على أبوك لأنه فعلاً رجل أصيل وطيب وعرف إزاي يربيك على قناعته، رد «أحمد» وقال له: الحمد لله يا أستاذ «باسم»، رد «عم سيد» وقال: إحنا هنمشي بقي يا «باسم» يابنى عاوز حاجة مننا رد «باسم» وقال له: لسه بدرى يا «عم سيد» قال له: لا يابني معلش بلاش نعطلك، بس أتمنى إنى أسمع عنك خير الفترة الجاية وإنك تنفذ كل حاجة قلناها في بيت ربنا، رد «باسم» وقال له: طبعاً يا «عم سيد» وكل خطوة هبشرك فيها إن شاء الله، الظهر أذن وهما في المكتب قام «باسم» قال لـ«عم سيد» تعالى نصلى الظهر يا «عم سيد» وبعدين أنزل أنا هوصلك يا «عم سيد»، نظر في وش «باسم» وقال له: ربنا يكرمك يا بنى ويزيدك إيمان كمان وكمان، رد «باسم» وقاله: ربنا جعلك سبباً لهدايتى يا «عم سيد»، وأنا الحمد لله التزمت بالصلاة وربنا أعلم، وفى اليوم الثانى «باسم» جمع الموظفين في مكتبه وطلب منهم تغيير سياسة العمل بأكملها، وتغيير النظام اللى كان ماشي عليه وطلب منهم إنهم يمشوا بما يرضى الله فى كل شىء، الموظفون استغربوا جداً من طلب «باسم» لكن كانوا فرحين جداً إن «باسم» بيه بيتغير للأحسن وإنه بدأ يحس بالعناء اللى بيعيشه الشعب الغلبان، وكمان طلب منهم يفكروا إزاى نرضي الغلابة ونعمل ليهم إيه يفدهم، وطلب بناء مسجد كبير لله وطلب عمل مستشفى للفقراء فى منطقة «بولاق الدكرور» اللى ساكن فيها «عم سيد»، وقال لهم: أنا عاوز «عم سيد» اللى هعرفكم عليه هو اللى يتولى العملية بتاعت المستشفى ويبحث معاكم على المكان، ويتولى كل الأمور، وأرسل «باسم» شخص من الشركة إلى بيت «عم سيد» وشرح له كل اللى قال له «باسم» بيه وأخذه معه للشركة وعرف الموظفين عليه

و«عم سيد» فرح جداً، ورحب بالموضوع وقال له: ربنا يجازيك خير طالما إنك بدأت تفكر في خير للناس، وقال له: أنا على استعداد تام إنى أقف بجانبك طالما إنك هتعمل حاجة تفيد الناس الغلابة، وسعى «عم سيد» معاهم وبنى المستشفى والمسجد، وتقرب «عم سيد» أكثر لـ«باسم» والعلاقة بقت بينهم قوية جداً، و«عم سيد» تولى أمور الخير كلها وائتمن «باسم» «عم سيد» على كل حاجة خاصة بهذا الأمر، و«أحمد» أصبح صديقا مقربا جدا لـ«باسم»، لدرجة أن «باسم» أصبح يستشيره في بعض أموره لأنه وجد أن «أحمد» فكره متفتح كتير فى أمور شغله، وطلب «باسم» مرة أخرى من «أحمد» أن يشتغل معاه وهذه المرة بعد الثقة المتبادلة بينهما وافق «أحمد» على طلب «باسم» والعلاقة بقت قوية بين الأسرة و«باسم»، وفى يوم من الأيام طلب «باسم» مقابلة «عم سيد» فى مكتبه ولما راح «عم سيد» لمكتب «باسم» قال: لـ«باسم» خير يابنى فى إيه، رد «باسم» وقال له: خير إن شاء الله يا «عم سيد» هو فى موضوع أنا كنت أتمنى إنى أطلبه منك وأتمنى إنك توافق عليه، وهكون أسعد إنسان فى الدنيا لو ربنا كرمنى بيه، رد «عم سيد» وقال: يا مسهل يارب أطلب يابنى ولو فى إيدى مش هتأخر عليك، رد «باسم» وقال له: «عم سيد» أنا عاوز أطلب إيد بنتك «عبير» لأني لقيت فيها بنت البلد الأصيلة ولقيت فيها الطيبة والالتزام والتدين وعلاقتها بربنا وتربيتك ليها عجبتنى جداً يا عمى، وأتمنى إنك ما ترفضش طلبى، «عم سيد» ابتسم وقال: لـ«باسم» بصراحة يابنى هذا الشيء يسعدني ويشرفني طبعاً جداً، لكن مش عارف أقول إيه، لكن في النهاية هقولك إن اللى ربنا كاتبه هو اللي هتشوفه يا بنى إن شاء الله وأنا عن نفسى أتمنى إن ربنا يوفقك يابنى لأنك اتغيرت، وبدأت تعامل ربنا كويس، وأنا لمست فيك حاجات كتيرة ومش هلاقى لبنتى أحسن منك بس ممكن تدينى فرصة أسألها وأسأل الست«أم أحمد» ، رد «باسم» وقال له: طبعاً يا «عم سيد» خد راحتك وأنا منتظر ردك، «عم سيد» أخذ فرحته فى قلبه ولم يستطع تحمل هذه الفرحة حتى إن الدموع أوشكت على أن تذرف من عينيه، وهو فى طريقه للنزول من مكتب «باسم»، إذ أن رجل فى المركز ده والكيان ده عاوز يتزوج ابنته، رغم البساطة التى يعيش فيها

ولما رجع بيته أول ما دخل نادى زوجته، وقال لها: تعالى عاوزك فى حاجة مهمة، ودخلت وراه وقالت له: خير يا «سيد» مالك في إيه قال لها: عندى خبر ليكى هيفرحك قالت: خير إن شاء الله قال لها: «باسم» طلب إيد «عبير» منى النهارده، وأنا من شدة فرحتى مش عارف أعمل إيه ردت زوجته وقالت له: ده الخير اللى عملته فى الدنيا يا «سيد»، ربنا عوضه في بنتك بالزوج الصالح وربنا يكرمهم والطيبون للطيبات وإحنا مش هنلاقى لـ«عبير» أحسن منه ، وخرجت «أم أحمد» من حجرتها جرى على حجرة البنات ونادت «عبير» وقالت لها: مبروك يا عروسة «عبير»، نظرت لأمها وقالت: مبروك على إيه يا ماما فى إيه مش فاهمة حاجة قالت لها: «باسم» طلب إيدك، «عبير» نظرت لأمها وقالت: إيه فى دهشة غريبة وفرحة وضحكة ثم قامت «أسماء وشيماء» بتقبيل أختهما «عبير»، و«عبير» قبلت أمها واحتضنتها بشدة، وقالت لها إنتى شايفة إيه يا أمى ردت أمها وقالت الخير فى اللى كاتبه ربنا ليكى يا «عبير»، وربنا يوفقك يا بنتى وهو ابن حلال وربنا يجمعكم على خير، زغردت «أم أحمد» والفرحة عمت على البيت كله، وقالت «أم أحمد» للبنات تعالوا نفرح أبوكم هو كمان ونفرفش معاه شوية، ومشيت الأم وخلفها بناتها وهم مبتسمين متجهين للحجرة اللى قاعد فيها «عم سيد»، لقوا «عم سيد» نايم على السرير وقفوا كلهم حوالين السرير وفضلت «أم أحمد» تصحيه وتقول له قوم يا «سيد» العروسة موافقة وعقبال «أحمد» وباقى البنات، لكنهم لا يعلمون أن أجل الله قد حان وأن «عم سيد» كانت هذه هى اللحظة الأخيرة وكان القدر منتظر فرحة «عم سيد» بأحد أبنائه، ولما وجدت زوجته سيد لم يجيب عليها وهى بتحاول تصحيه من نومه صرخت بصوت عال لالالالالالا«سيد» مات يا «عبير» أبوكى مات !! أبوكى مات!!! وحضنت «عبير» أبوها وقالت: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، وفضلت تبكى وأمها أغمى عليها والجميع كان فى صدمة من وفاة «عم سيد» وشدة فرحته بخبر أن ابنته هتتجوز والحزن عم على أهل المنطقة التى يسكن بها «عم سيد»، و«باسم» لما سمع الخبر جرى على البيت فى حالة هيستيريا شديدة

وكأن الذى توفى هو والده، ودخل حجرة «عم سيد» وحضنه وقال له: «باسم» كان نفسى تشوفنى وأنا فى كوشة الفرح مع بنتك كان نفسى تربى أولادى وتعلمهم زى ما علمت أولادك، كان نفسى تخرج جيل من تحت إيديك كان نفسى أتعلم منك أكتر، علمتنى حاجات كتير دخلت «أم أحمد» وقالت له: قضاء الله يابنى، نظر«باسم» فى وجهها وقال لها: «عم سيد» هو الرجل اللى اتمنيته أبويا «عم سيد» هيعيش جوانا كلنا..«عم سيد» هيكون جوه كل واحد، كلنا لازم نكون «عم سيد» فى كل حاجة كان بيعملها، ورحل «عم سيد» ورحلت معه أيام الحب والسعادة التى كانت تملأ البيت، وكل مكان كان بيروح فيه «عم سيد»، لكن ظل «عم سيد» رمزا للعطاء والخير وترك قدوة تتوارثها الأجيال وتتعلم منها ماذا كان يفعل هذا الرجل.

وبعد مرور سنة من وفاة «عم سيد» تزوج «باسم» من «عبير» وأخذ «أم أحمد» وأولادها إلى فيللته، وأصبحت الأسرة كلها واحدة وأول مولود لـــ«باسم» كان ولد، وأصر «باسم» على أن الولد يسمى «سيد» على اسم الرجل الذى مد له يده بالخير وأخذه إلى طريق الفلاح.. وحب الناس وفعل الخير .. ومعرفة الله بحق، وإيمان داخلى بكل ما تحمله المعانى وأخذ الأسرة وذهب بهم لقضاء فريضة الحج، وأصبح «باسم» من أشهر رجال الأعمال المحبين لفعل الخير وزادت ثروة «باسم»، كلما زاد فعل الخير الذى أوصى به «عم سيد»، وعلم «باسم» جيداً أن الذى يزرع الخير يحصده فى أولاده وفى دنياه وآخرته، وأن الله عز وجل لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وظل «باسم» يتحدث لأولاده عن قصته مع «عم سيد» الرجل البسيط الغلبان الذى استطاع أن يجعل من رجل أعمال فاسد، رجل أعمال مشغوف بفعل الخير ويتقى الله فى كل تصرفاته، وأخذ يتحدث بلغة «عم سيد» البسيطة فى حياته، ونجح واجتمعت حوله قلوب الناس باستخدامه لمنهج «عم سيد» فى الحياة، وعلم أن البساطة فى الأمور تُسلك طريق الخير وأصبح «عم سيد» حاضراً غائباً .

وهنا حدث «باسم» نفسه قائلاً: عندما تراعى الله في كل تصرفاتك فسوف تجد الذى يرعاك وسوف تحصد ثمار ما زرعت، وسوف يكرمك الله عز وجل كلما اتقيته وتقربت إليه بكل حب ونية صافية، وكلما عاملت الناس بالحسنى والخير سوف تجد الناس تعاملك بمثل ما تعاملهم به .. وكلما اجتنبت شهوة المال والشهرة كلما كان قربك من الله والإيمان به أكثر لأن لذة الإيمان أفضل من لذة المال والشهرة والسلطان، فيابنى آدم كلنا عائدُون إلى الله في يوم من الأيام ولا يبقى الحال كما هو عليه، فعلينا أن نتذكر الموت فى كل لحظة فربما جاءنا من حيث لا نعلم، فسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض، وتقربوا إلى الله واطلبوا منه التوبة إن كنتم تفعلون الخطيئة واعلموا جيداً أن الله كتب على نفسه الرحمة بأنه الرحمن الرحيم.

٥- حامل من شقيقى

نعيش الآن فى زمن العجائب، فكل يوم نرى أعجوبة جديدة لم نر أو نسمع عنها من قبل، وتأتى هذه الأعجوبة على وجه الخصوص من النوع الذى لا يقبله عرف أو دين، بل تتدنى فى فعلها إلى أرذل خُلق عرفته البشرية كُلِها، فقد ذهبت إلى عملى ذات يوم وكانت تغمرنى السعادة، وبعد جلوسى فى مكتبى بدقائق، دخل صديقى «طارق» الذى يعمل سكرتيراً بنيابة أكتوبر، وقال لى: أزيك عامل إيه.

قلت له: الحمد لله إزيك أنت يا «طارق».

قال لى: تمام الحمد لله، ثم نظر إلى بدهشة غريبة، وقال لى: شوفت الشاب اللى اغتصب أخته.

قلت له: أعوذ بالله إيه اللى بتقوله ده يا «طارق».

قال لى: آه والله.. وهذا ورق القضية.

نظرت فى الأوراق التى قدمها لى «طارق» وكانت تحمل رقم «....» جنايات أكتوبر والمقيدة برقم «....» بعد قرار الطب الشرعى، وذهلت بشدة عندما أمسكت الورق وتأكدت مما قاله «طارق»، وتأملت فيما حدث، وجلست أنظر إلى سرد ما قالته« أسماء» فى أوراق القضية :

تربت «أسماء» التى تبلغ من العمر ١٧ عاماً وسط أسرة بسيطة ولها شقيق يبلغ من العمر ٢٣ عاماً وأم وأب يصارعان الزمن من أجل لقمة العيش وتحمُل المعيشة التى أصبحت تصعب عليهما يوما بعد يوم، لكن لم يكن يعلمان أن تركهما للمنزل سوف يتسبب فى هذه الكارثة الكبيرة التى أخفاها عنهما ابنهما، فاعتاد الأب والأم الغياب عن المنزل لساعات طويلة، وأتاحا الفرصة لابنهما أن يلعب الشيطان بعقله من أجل تحقيق نزواته ورغباته التى اعتاد أن يمارسها، خاصة بعد جلوسه المستمر أمام جهاز الكمبيوتر لمشاهدة الأفلام الجنسية كل يوم بعد غياب الأم والأب عن المنزل، وذات يوم شاهد «حازم» فيلماً جنسياً لشاب وهو يغتصب شقيقته، وأراد «حازم» بعد مشاهدته للفيلم أن يطّبق ما رآه فى الفيلم لتحقيق رغبته وإشباع شهوته

وكـان الأب والأم كالعـادة خـارج المنـزل، فاسـتغل هـذه الفرصـة ودخل المطبخ فوجد «أسماء» تقوم بغسل الأطباق فوقف خلفها وتعمد أن يلامس جسدها بطريقة مثيرة ليحرك شهوتها، وشعرت «أسماء» بشيء غريب أثناء ملامسته لها من شدة الشهوة التى كان عليها «حازم»، ونظرت إليه بخوف شديد، وقالت له: هو إيه اللى بيحصل؟!.. رد عليها وقال لها: مافيش حاجة أنا كنت عاوز أجيب حاجة من المطبخ، وعادت إلى غسل الأطباق، وانصرف «حازم» من المطبخ، ثم عاد بعد دقائق مرة أخرى وكان يرتدى ملابسه الداخلية فقط، ونظرت إليه«أسماء» وآثار الشهوة بداخلها، ثم طلب أن يساعدها فى أعمال المطبخ ووافقت «أسماء» وأثناء تواجده فى المطبخ معها حاول أن يداعبها بكلمات مضحكة، وبعد ذلك قام برشها بالماء في مكان حساس وكأنه يهرج معها، وحاولت أن تنصرف من أمامه ثم خرجت من المطبخ وأسرع وراءها وهما في حالة هرج ومرج، وبدأ بعد ذلك ملامسة أماكن حساسة فى جسدها وكأنه لا يقصد فعل هذا، وعندما وجدها لم تمنعه عن ذلك ظل يتمادى فى لمس جسدها أكثر فأكثر حتى اقترب منها، وقام بحملها بحجة الهزار، وطلب منها أن يرقص معها رقصة هادئة، ثم أخذ يحضنها ويضمها حتى بدأت تشعر بأنها فى حالة شهوة عارمة لم تستطع أن تسيطر عليها وهى فى حضن «حازم»، ثم بدأ ينزع عنها ملابسها واحدة تلوى الأخرى، وهي فى حالة عدم اتزان، فلم تستطع أن تمعن عقلها ولو للحظة من شدة الشهوة والإثارة التى أصابتها من شقيقها، فتركته يفعل بها ما لم يتخيله أحد ولم يكتف «حازم» بملامسة جسدها لإرضاء شهوته، بل قام بهتك عرضها تحت سيطرة الرغبة المجنونة، وعندما انتهت حالة النشوة التى كان فيها الأخ وأخته، انتبها إلى كارثة كبرى وضعا نفسيهما فيها واستسلما للصمت حتى لا ينفضح أمرهما، وفى اليوم الثانى كان المنزل خاليا بهما أيضا، وطلب «حازم» من شقيقته أن يمارس معها الجنس ولم تمنعه «أسماء» واستسلمت لرغبته ورغبتها أيضا، وسلمت نفسها للشيطان، وظل يمارس معها الجنس بشكل يومى دون انقطاع، وذات يوم جلست تحدث نفسها عما يدور بينها وشقيقها واستيقظ ضميرها

وحاولت أن تمنع أخيها عن ممارسة الجنس معها، وطلبت منه التوقف عن هذا الفعل، إلا أنه لم يقتنع بكلامها ولم يستيقظ ضميره من سُباته، وظل يثير شهوتها أثناء نصحها له، ولم يتوقف عن إثارتها والضغط عليها، وظلت تمنعه حتى وصل الحال إلي التهديد والضرب، ولم تستطع مقاومته واستسلمت له ولا تعلم أن هذه المرة ستحمل لها نبأ الكارثة، ونسيا الاثنان أنهما أشقاء ومارسا معاً الجنس كأنهما متزوجين، وبعد هذه المرة وعدها «حازم» بعدم ممارسة الجنس معها مرة أخرى، وبعد مرور شهرين شعرت الفتاة بدوار سقطت فوره مغشياً عليها، وكان «حازم»في هذه الأثناء خارج المنزل هو ووالده ولم يكن موجود سوى الأم التى انتقلت بابنتها إلى المستشفى وبعد الكشف عليها، قال الطبيب: للأم مبروك ابنتك حامل، صرخت الأم فى وجه الطبيب وقالت له: إيه اللى بتقوله ده، أنا بنتى مش متجوزة ولسه بنت، إزاى بتقول كده، رد الطبيب عليها وقال: لأ بنتك مدام وحامل، فقالت له الأم: إزاى حامل قولى يا دكتور إزاى!! رد الطبيب وقال لها: اسأليها وهى تجاوبك، وجلست الأم تلطم خديها وسألت ابنتها مين اللى عمل كده؟ انطقى قولى، ردت الفتاة وقالت لها: لما نروح البيت هقولك على كل حاجة، وعندما ذهبتا إلي المنزل روت الفتاة كل شيء لأمها، ولم تستطع الأم فعل شيء وشل تفكيرها، فماذا تفعل فى ابنها الذى قام باغتصاب شقيقته وجعلها حاملا منه؟!وأسرعت بالاتصال بابنها «حازم» على هاتفه وأبلغته بكارثته فقام بغلق هاتفه، وقرر عدم العودة إلى المنزل، وقامت الأم بإخفاء هذه المصيبة عن زوجها خوفاً من اتهامه لها بالتقصير فى تربية ولديها وتحميلها المسئولية كاملة، فأسرعت الأم عائدة إلى طبيب المستشفي وطلبت منه أن يقوم بعملية إجهاض لابنتها، وأبلغته بما حدث حتي يتعاطف معها، لكن الطبيب علي الفور أبلغ الشرطة بالواقعة، وقام بإجهاض الفتاة والتحفظ على جثة الجنين فى ثلاجة الموتى بالمستشفى، لكى يتم عرضه على الطب الشرعى لاستكمال باقى إجراءات التحقيق، وعلي الفور حضرت الشرطة إلي المستشفى وقامت برصد الواقعة وطلبت حضور الأب ليتم التحقيق معه ومعرفة الأسباب التى أدت إلى وقوع هذه الكارثة، وقامت الشرطة بالبحث عن «حازم» وتم القبض عليه عند أحد أصدقائه، وحاول الأب أن ينتقم من ابنه، لكن الأم منعته، وتم الاكتفاء بتسليمه للقضاء ليأخذ القانون مجراه .

وتمت إحالة القضية بعد ذلك إلي الطب الشرعي لعمل التحاليل اللازمة، لتأتي الحقيقة كصفعة قوية للأب والأم اللذين انشغلا عن رعاية ولديهما ولم يرسخا فيهما قيم ومبادئ مجتمعهما وتعاليم دينهما، لتكون بمثابة الحصن الأمين الذى يصدهما عن أى انحراف أخلاقي، قد يزج بهما نحو ارتكاب أى كارثة، حيث أثبتت نتائج التحاليل أن الحمل كان نتاج جماع الفتاة بشقيقها وتم عرض نتائج التقرير على النيابة لتتبين صحة الواقعة كاملة .

شعرت بعدم الأمان بعدما قرأت أوراق القضية، وجلست أفكر فيما فعله الشاب مع شقيقته ولم يراع رحماً ولا ديناً ، ثم أعطيت ورق القضية مرة أخرى لصديقى «طارق» وسط ذهول ودهشة مما قرأت.

وبدأت أسأل نفسى من السبب وراء هذا الفساد والانحطاط الأخلاقى، هل هو دخول التكنولوجيا العصرية بشكل صارخ كل بيت دون أن يتم التحكم والسيطرة والرقابة عليها من قبل الأسرة؟ أم غياب دور هذه الأسرة فى ترسيخ قيم ومبادئ المجتمع والتعاليم الدينية؟

٦- خدعنى فيس بوك

اتصلت بي إحدى قارئات باب «مشكلتى» الذى أكتب فيه بإحدى المجلات، وقالت لى: أريد التحدث معك.

فقلت لها: لا مانع عندى تفضلى وكلى آذان صاغية.

قالت لى: أريد أن أحكى لك حكاية بسيطة لا أعلم أين نهايتها حتى الآن، ولكن دعنى أحكيها لك حتى تكون عبرة لكل فتاة على الانترنت .

قلت لها: تفضلى وأنا منصت لكِ.

قالت: أنا سمى «نوال»وأم لأربعة أولاد وطلقنى زوجى منذ ثلاث سنوات وترك لي الأولاد وبعد مرور أكثر من عام كان المصير مجهولا بالنسبة لى، فقررت أن أقوم بتربية أولادى، ولا أنظر خلفي أو لأى شىء آخر غير رعايتهم فقط، وكانت تكفينى التجربة التى خرجت منها بمتاعب كثيرة، وبدأت بالفعل أسلك طريق العمل والكفاح، تاركة خلفى كل ما يؤلمنى من ماضى طليقى المرير، وطلب منى ذات يوم ابنى «عمر» أن أشترى له جهاز كمبيوتر لكى يتواصل مع أصدقائه عبر الانترنت، فقلت له «عيونى يا حبيبي»، وبالفعل في اليوم التالى اشتريت له جهاز الكمبيوتر وطلب مني أن أفتح له حسابا على موقع التواصل الاجتماعى «فيس بوك»، لكى يتحدث مع أصدقائه، وبالفعل قمت بعمل حساب له، وظل ابنيٍ «عمر» يتحدث عليه، وكنت أراقب محادثاته للأصدقاء خوفاً من أن يتعرف على أى شخص يفسد أخلاقه، وذات يوم وأنا أشاهد محادثات ابنى مع زملائه وجدت شخصا يريد طلب صداقة، وعندما تجاهلت الطلب وجدته بعد دقائق يرسل لي رسالة طلب تعرف، ثم قمت بالرد عليه وقلت له: إن هذا «أكونت» طفل، وحاولت ألا أخوض معه فى الحديث وتركت الجهاز وطلبت من ابنى ألا يدخل على الـ «فيس بوك» هذه الأيام، وفى اليوم التالي دخلت على «فيس بوك» لكى أتابع الجديد، فوجدت الرجل ترك رسالة أخرى ألح فيها على المحادثة ، فقتلنى الفضول لمعرفة من هذا الذى يريد التعرف على شخص آخر دون سابق معرفة

وبدأت أقرأ صفحته الموجودة على «فيس بوك» لكى أتعرف على شخصيته أكثر وأعرف من هو، فوجدت صفحته تجذبنى نحوه، وعرفت أن اسمه «إيهاب» وعرفته بنفسى، وكانت تجذبني كلماته الرقيقة ومشاعره التي استطاع من خلالها أن يأخذنى إلى عالم الرومانسية والخيال الذى تمنيت العيش فيه، وأعجبت بكلامه، لكننى لم أتماد فى الحديث معه فى هذا اليوم، وفي اليوم الثالث وبعد استيقاظي من النوم كان يسيطر علىّ شغف دخولى «فيس بوك»، وأرى ما كتبه لى في هذا اليوم، وبالفعل عندما قرأت رسالته انجذبت له أكثر وقلت له: «كلامك حلو أوى.. يا ترى ده بتقوله لكل واحدة ولا ليا أنا بس»، لكن لم يجبني فعلمت أنه غير موجود وانتظرته حتي آخر اليوم، ثم وجدته قد أرسل لي رسالة وقال لى إنه لأول مرة يتحدث مع سيدة بهذه الطريقة، وبدأت أتحدث معه وعرفته بحياتى الشخصية أكثر تفصيلاً، وبدأت أتواصل معه يومياً على «فيس بوك» وبدأت أشعر بأننى معجبة بشخصيته ثم تحول الإعجاب إلى حب شديد بعد ذلك، وكان الشك يراودنى بأن هذا الكلام يقوله لأكثر من واحدة وأنه يعرف الكثير من النساء على «فيس بوك»، فقمت بعمل حساب جديد باسم مستعار وطلبت التعرف عليه، فبدأ يتبادل معي أطراف الحديث، وفى اليوم الرابع بدأ يتحدث معى بلهجة يثير فيها غرائزى، فكان شكى في محله وتأكدت أن الكلام الذى كان يقوله لي قاله لكثير من النساء قبلى، وكانت هذه الحقيقة بمثابة صدمة لي وعلمت أن «فيس بوك» خدعنى، وقبل مغادرتى الصفحة، وجدت شخصا أرسل لى طلب صداقة للتعرف علىّ، فوافقت على طلب الصداقة وبدأ الحديث معى بتعريف نفسه فكان اسمه «فهد»، وأخذت رأيه فيما حدث معى وكنت لا أعلم ماذا أفعل وبالفعل رويت له ما حدث من «إيهاب» الذى تعرفت عليه من قبل، فظل ينصحنى بالابتعاد عن «إيهاب» وعدم محادثته مرة أخرى، واتفقت مع «فهد» بأن تكون الصداقة بيننا مبنية على الصدق والإخلاص والأخوة فقط دون التمادى فى أي علاقة أخرى، وظللت أستمع لكلامه ونصائحه لى، وكنت أشعر بأنه صديق مخلص ووفى وأنه سينقذنى من كارثة الحب التى وقعت فيها

ومع مرور الأيام لم أكن أعلم أن هناك شيئا يخفيه لي القدر، وتوطدت علاقتي مع «فهد» وأخذ رقم هاتفي وكان يحدثني كل يوم حتي تعودت عليه، وتحولت الصداقة إلى حب كبير بيننا، وكنت أنام وأصحو على صوته الحنون، وكان يعتاد إرسال الهدايا لكونه فى بلد وأنا فى بلد آخر، وطلب منى أن أسافر له لأقضى معه عدة أيام، وبالفعل حققت طلبه وسافرت إلى البلد الذى يعيش فيه وأخذت معى أجمل الهدايا له، وكنت أشعر بالسعادة والفرح كلما شعرت بأنه بجانبى وأنا قريبة منه، وكنت أعيش على أمل أن يتزوجنى، لكن ظهرت رغبته الحقيقية من وراء مصادقته لي، فطلب منى أن أقضى معه الليالي الحمراء دون زواج، وطلب تأجيل الزواج لوقت آخر، ولأننى كنت أثق فى كلامه صدقته، لكنى لم أكن أعلم أنه يخفي لى شيئا ما، ولم أضع شيئا فى رأسى وقتها سوى أن أقضي الوقت بسعادة وأنا معه، وكان يرافقنى طوال الوقت ولم يتركني وأخذ منى ما يريده خلال الأيام التى قضاها معى فى الشقة التى استأجرها لى، وكنت أشعر بسعادة بالغة وهو بين أحضانى لكن الحلم كان وقته قليلا للغاية، وبعد أن انتهت فترة تواجدى فى البلدة التي يعيش فيها، وغادرت إلى بلادى حاولت الاتصال به لكى أبلغه أننى وصلت بأمان، فكان الرد غير مطمئن، وفى اليوم الثانى حدثنى بلهجة غريبة وتحمل معانى الكراهية، وكان لا يريد الحديث معي، وحاولت أن أعرف منه السبب، فقال لى: إن كل شيء بيننا قد انتهى، وأنا لا أريد أن أتذوق طعمك مرة أخرى فقد زهدتك، فقلت له كيف تقول ذلك بعد أن سلمتك نفسى، فكان رده فى غاية الامتهان، وأغلق هاتفه بعد ذلك وبعد مرور كثير من الوقت قام بتغيير رقمه، وبعد مرور فترة من الوقت تعرفت بالصدفة على أحد أصدقائه المقربين من خلال موقع التواصل الاجتماعى«فيس بوك»، وشرحت له ما حدث من «فهد»، فقال لى: إن هذا الموقف قد فعله مع الكثير من النساء، وأن لديه علاقات متعددة، وأنه شاب غير صالح ودائماً يرسم دور البرىء على ضحاياه، وأبلغنى أننى لست الضحية الأولى فهناك ضحايا استغلهم ووعدهم بالزواج وهناك من تركها وهى حامل ولم تستطع أن تأخذ حقها منه، وسمعت الكثير عنه وبدأت أبحث عن نفسى ولم أجدها أين هى وأين ذهبت؟ وأين ستكون؟

ومازلت تائة بين البشر، وساءت حالتى النفسية يوماً بعد يوم وأصبحت أحمل بداخلى كرهاً شديداً ضد الرجال، وفقدت مصداقية كل الرجال .

التزمت الصمت لعدة دقائق، وقلت لها: إنكِ وضعتى نفسك فى تجربة صعبة، ولكن أعتقد أنكِ أخذت الدرٍس الذى يجعلك تتجهين فى الطريق الصحيح وتعوًدين إلى الله عله يغفر لكى ما اقترفتيه من ذنب، وتتركين جميع العلاقات التى تعرفينها على «فيس بوك» الذى خدعكِ وأخذك لطريق مجهول لا تعرفينه وأنت امرأة مطلقة، وأصحاب العلل يلهثون وراءك كما تلهث الذئاب وراء القطيع، مثلك صيد سمين لأمثالهم، وأنسب طريق لكٍ هو طريق الله فالجائى إليه واطلبى منه المغفرة، وقالت لًى: أنا شديدة الحزن على ما فعلته وما وصلت إليه من حالة متردية وأتمنى أن يتقبل الله منى ويهدينى، وأرغب فى نشر قصتى للناس علهم يتعلمون من أكاذيب وخداع «فيس بوك»، لكى يتخذ البعض منها عبرة، وتنظر كل فتاة لما تفعله حتى لا تقع فريسة لذئب مثل الذى وقعت معه، فما أكثر زيف ذئاب «فيس بوك»، ولم استطع أن أكمل حديثى مع «نوال» تلك المرأة الرومانسية وحزنت على ما فعلته، ولكن هذا يجعلنا ننظر جيداً إلى موقع التواصل الاجتماعى «فيس بوك» على أنه مصدر للعديد من الكوارث التى تنتظر أجيالا قادمة لابد أن نأخذ الحذر منها حتى لا يقع فيها الكثيرون، ولابد أن تكون النظرة للفيس بوك على أنه وسيلة لتداول المعلومات للاستفادة منها فى خدمة البشرية فى كل نواحى المعرفة والاستخدامات بدلاً من إهدار الوقت أمامه للصيد فى الماء العكر، فإننا سوف نحاسب على وقتنا فى أى شىء قضيناه.

٧- جعلتنى عاهرة

بصفتي الصحفية يتعين علىّ التواجد فى أماكن عديدة، لرصد كل ما هو جديد وغريب، ويُعد قسم شرطة رعاية الأحداث واحداً من هذه الأماكن، فقد توجهت إليه كعادتى، لكى التقى بصديقي ضابط رعاية الأحداث، لمعرفة كل ما طرأ من جديد فى القسم، وكان هذا اليوم مليئاً بقضايا كثيرة، وجلست بمكتب صديقي وسألته عن أغرب قضايا هذا الأسبوع، فقال لى: هناك قضايا آدب لأطفال، ثم نظرت إليه فى دهشة شديدة، وقلت له: أطفال! فرد: نعم، فسألته عن أعمارهن، فقال لم يتجاوزون الرابعة عشرة ، استغربت بشدة من كلام صديقى، وطلبت منه أن أجلس مع إحدي الفتيات لعمل موضوع صحفى، لرصد الحقيقة كاملة ومعرفة الأسباب التى أدت إلى وقوع مثل هذا النوع من الحوادث، والتى طرأت على مجتمعنا ولم تكن أصيلة فيه، وطلب لى صديقى الضابط فنجاناً من القهوة، ثم أرسل لى أحد أفراد مكتبه لإحضار إحدى الفتيات من غرفة الحجز، وفى اللحظة التى كنت أنتظر فيها فنجان القهوة، كنت أيضاً انتظر الفتاة، وبعد مرور عدة دقائق جاءني فنجان القهوة وأثناء رفعه على فمي وإذا بي أجد أحد أفراد الشرطة دخل علينا المكتب ومعه الفتاة التى طلبها صديقي الضابط لأتحاور معها، وفُجعت عندما رأيت أمام عيني فتاة نحيفة الجسم ولم تظهر عليها معالم الأنوثة الكاملة ولم تبلغ الخمسة عشر عاماً، ولحظتها شعرت بمرارة في فمى منعتنى من تناول القهوة، وتفحصت معالم وجهها والذى لم تظهر فيه إلا البراءة، وسألت نفسى ما الذى دفع هذه الفتاة الصغيرة لدخولها عالم العاهرات؟!، ونظرت إلى ابتسامتها التى لا تجعلك تشك لحظة واحدة بأنها ساقطة، فكانت تكسو وجهها ابتسامة رقيقة، ثم استأذنت الضابط أن يتركنى للحوار معها وطلبت منها أن تجلس للحديث معى، وكانت تنظر إلى وتملأ عينيها العديد من التساؤلات، وشعُرت بأن أهم سؤال تريد أن تطرحه علىّ: هو هل جئت هنا من أجل إنقاذى.. أم لغرض آخر؟ ثم التزمت الصمت لعدة ثوان وخيم علىّ حزن غريب على حال هذه الفتاة، وبدأت حوارى معها بالسؤال عن اسمها، فقالت: أنا اسمى«رشا».

قلت لها: عمرك أد إيه يا «رشا»؟.

قالت: ١٥ سنة.

قلت لها: عمرك ١٥ سنة ..فقالت آه والله.

قلت لها: ممكن تحكيلى حكايتك كلها يا «رشا» اللى وصلتك لقسم الأحداث لتكونى متهمة فى قضية آداب ومين السبب فيها؟.

قالت: «حاضر يا فندم أنا هحكيلك كل حاجة لأنى تعبانة جداً، ومش عارفة إيه اللى حصلى ده، وأنا ندمانة على كل حاجة حصلتلى».

قلت لها: إحكى وأنا هسمعك يا «رشا».

قالت: لقد تُوفى والدى وكنت أبلغ من العمر ٩ سنوات، وحُرمت من حنان الأب ورعايته لى، فكان والدى كل شىء بالنسبة لي وكنت أشعر معه بالحنان والأمان، ولم أعلم أن الله سوف يأخذه منى وأنا فى مقتبل عمرى، وبعد مرور عام من وفاته كنت أشعر بالحزن الشديد عليه، وأصبحت تائهة ولا أعلم الكثير عن هذا العالم الذى نعيش فيه، وليست عندى خبرات للتعامل مع الناس، ولم يبق لى سوى والدتى فقط، وكانت والدتي تبحث فى نفس الوقت عن نفسها، وبدأت تهملنى وتجاهلت رعايتها لى تماماً، وكنت أشعر بالوحدة وعدم الأمان معها، وذات يوم علمت أن أمى تعرفت على رجل وتوطدت العلاقة بينهما، وعلمت من والدتى أن هذا الرجل طلب الزواج منها، وعندما أخذت أمي رأيى فى مسألة الزواج من هذا الرجل، قلت لها: هذه حريتك الشخصية وأنا لن أقف ضد رغبتك، وتزوجت أمى بالفعل من هذا الرجل، وبعد مرور سنوات من الزواج بدأت أمى تهتم بزوجها وأهملت رعايتى نهائياً، فبدأت أبحث عن أصدقاء لأتعرف عليهم لكى أغير نمط الحياة التى أعيشها المليئة بالجفاء وقسوة قلب أمى، وفى هذا التوقيت كانت والدتى تُعطينى مطلق الحرية لفعل ما أريد وقتما أريد ولم تمنعنى يوماً من شىء، وكنت أخرج من المنزل وأعود فى وقت متأخر ولم أجدها تسألنى عن سبب التأخير أو عن المكان الذى كنت فيه، وحدثتها ذات يوم بأننى أعرف عدداً كبيراً من الشباب

فكان ردها لى «وإيه يعنى لما يكون ليكى أصحاب شباب عيشي حياتك زى ما إنتي عايزه يا رشا»، وبدأت منذ هذه اللحظة وأنا أتمتع بالحرية المطلقة، ومع مرور الأيام ظهر افتعال والدتي للمشاكل بدون أى أسباب، وعلمت بعد مدة ليست قصيرة أن زوجها أراد أن يستولى على شقة والدى، وأنه طلب من والدتى التضييق عليّ وإثارة غضبى، مما أدى إلى استحالة العيش معهما تحت سقف بيت واحد، وحيث إنه ليس من الطبيعي أن أطرد والدتي،فكانت النتيجة أن تركت لهما المنزل وبحثت عن مكان آخر يأوينى، وجلست عند صديقة لى ثم تعرفت على شاب من عائلة ثرية اسمه«شادى»، وكان يحدثنى يومياً عبر الهاتف، وطلب منى ذات يوم أن أسافر معه إلى الغردقة للترفيه، ولم أتردد فى طلبه لحظة واحدة، خاصةً وأنا أتمتع بحرية كاملة ولا يوجد من يمنعنى أو يوجهنى ويسأل عني، وفى اليوم التالى اتفقت علي موعد السفر مع «شادى»، وبالفعل سافرت معه واستأجر شقة فى الغردقة لنمضي فيها الوقت الذى سنقضيه معاً، وطلب أن يتزوجنى عرفياً، ولم أتردد فى طلبه فوافقت على الزواج منه، وكنت أشعر بأننى فى أسعد أيام حياتى، لما كنت أجده من «شادى» من تعبير صادق لحبه الشديد لي، وفي نهاية الأسبوع الذى قضيناه ً قرر«شادى» العودة إلى القاهرة، وطلب مني أن أعود إلى منزل والدتى، فقمت عند وصولى القاهرة بالتوجه إلى منزلنا بعين شمس، وأردت أن أخبر والدتى بأمر زواجي، فرويت لها ما حدث وما مررت به منذ غيابى عن المنزل، فما كان منها إلا أن قالت لى: «ألف مبروك»، وكنت أنظر إليها بتعجب شديد من سهولة رد الفعل هذا، وسألت نفسى: لماذا لم تضربنى أمى على ما فعلت؟ ولماذا لم تسألنى عن زوجى وأين هو؟ ومن شدة دهشتي من رد فعل والدتى التزمت الصمت ودخلت غرفتي، واتصلت بـ «شادى» لكي أخبره بوصولي المنزل، وأن والدتي قد علمت بأمر زواجنا وباركت هذا الزواج، ولكن هاتفه كان مغلقاً، فعاودت الاتصال به في صباح اليوم التالى، فوجدت الهاتف لايزال مغلقاً، وظللت طيلة أيام كثيرة أعاود الاتصال به دون جدوى من ذلك

والغريب أننى لم أكن أعرف لـه عنوانـاً، وعلمت بعد ذلك أننى إحدى ضحايا هذا الشاب، وأنه أخذ ما يريد وحولنى من فتاة إلـى سيدة وتركنـى دون أن يكون هنـاك دليل علـى هـذا الزواج، فقد استطاع أن يحتال على ورقة الزواج العرفى من أول يـوم تـم الـزواج فيـه، وبعد مـرور شـهرين مـن وجـودى بالمنزل سألتنى والدتى عن زوجي الذى سبق وأن وعدتها بأنه سـوف يزورهـا قريبـاً، ولـم يسفر سؤالها عـن شـىء سـوى مشاجرة ومشادة حادة، تركت على إثرها المنزل وأقمت مع صديقتي التى كنت أقيم معها سالفاً، وبعد مرور أيام تعرفت علـى فتـاة أخـرى جـذبتنى إلـى طريـق المخـدرات والعلاقـات المشـبوهة مـع الشـباب، واتخـذت طريـق الانحـراف سـبيلاً وانجرفت معها فكنت كل يوم أتعرف علي شاب جديد، وكل واحـد مـنهم كـان يطلـب معاشـرتى ولـم أكـن أرفـض طلبـه، وأخذت السير فى هذا الطريق دون أن أدرى عواقبه، وطلبت منـى صـديقتى صـاحبة السـوء ذات يـوم أن أسـافر معهـا إلـى المنيا وبالفعل ذهبت معها، وكانت تنتظرنا هناك سيدة تبلغ من العمر أربعين عاماً تقريبـاً، واستقبلتنا فـي موقـف السيارات وذهبنا معها إلى شقتها، وعندما دخلت الشقة وجدت أكثر من خمـس فتيـات متواجـدات عنـدها، وكانـت بعضـهن يرتـدين قمصـان نـوم وملابـس داخليـة، فعلمت أننـى فـى وكـر للـدعارة عكس ما أفهمتنى أنها زيارة للاطمئنـان علـى إحدى صـديقاتها واسـمها «دلال»، وطلبـت منـى «دلال» وصـديقتى أن أقـوم بتغييـر ملابسـى وأن أرتـدى قمـيص نـوم وآخـذ راحتـى فـى الجلوس، وبعد مرور سـاعات من الوقت لـم أكـن أرصـدها إلا بـزوال الشمس وإسدال الليل ظلامـه علـى المنـازل من حولنـا وأخذ السكون يعم المكـان، وإذا بجـرس الشـقة يدق ثـم قامـت «دلال» بفـتح البـاب وكنـا نجلـس جميعنـا فـى صـالة الشـقة، فوجدت «دلال» تتحدث مع مجموعة من الشباب وتقول لهم اتفضلوا، وعندما دخلوا الشقة قمت على الفور ودخلت الغرفة، ثم وجدت «دلال» تلحق بـى وتقول لـى : «إيـه يـا حلـوة أنتـى مش هتشـوفى الرجالـة ولا إيـه، فقلت لهـا: رجالـة إيـه أنـا مش فاهمة حاجة»

ثم قالت لي: «أنتى فى شقة دعارة ولو مسمعتيش كلامى هخلى الرجالة اللى بره دول يضربوكي لحد ما يبان لك صاحب»، فتملكنى الخوف لحظتها بشدة، فقلت لها: «خلاص أنا موافقة»، ودخل اثنان من الشباب الغرفة وعلمت وقتها أنهما دفع لها ثمن هذه اللحظة ٥٠٠ جنيه، وبدأت أتعايش مع هذا الجو وقلت في نفسى «ماهى خربانة خربانة»، وفي نفس الليلة وقبل آذان الفجر بساعة وأثناء تواجدى فى غرفة النوم مع أحد الرجال وجدت الشرطة فوق رأسي، وتم وضع الأصفاد فى يدى، ثم توجهنا إلى قسم الشرطة وتم ترحيلى إلى القاهرة، وعلمت أن والدتى علمت أننى فى قسم الشرطة، لكنها لم تحضر، وشعرت بحزن شديد لما فعلته أمى معى، فهى السبب الرئيسى لما حدث لى وهى التى جعلتنى أنتقل من حضن إلى حضن ومن سرير إلى آخر، وكان إهمالها بمثابة الكارثة لمستقبلى بعد أن أصبح زوجها الجديد هو كل شىء فى حياتها وأرادت أن تسعده على حساب ابنتها، وتركتنى فى الشوارع للذئاب تنهش فى لحمى وتأكل منه ما شاءت، وحرمتنى من الحنان الذى تمنيته فيها بعد وفاة والدى الذى حُرمت منه فى سن مبكر، ولا أعلم أين سيكون مصيرى خلال الأيام القادمة؟ وأنا نادمة على كل لحظة فى حياتى ونادمة على ما فعلته، لكن الأمر ليس بيدى، فهو بيد والدتى التى أهملت أمرى، وأتمنى أن أعود للحياة تحت سقف منزل والدى حتى لا يكون مصيرى أرصفة الشوارع ويُصبح جسدى سلعة رخيصة يلتهمه كل من يريد النيل منه.

التزمت الصمت لمدة ثوان، وأخذت نفساً عميقاً ونظرت لحال «رشا» ضحية أم صنعت منها عاهرة فى سن الطفولة من خلال إهمالها وعدم الاكتراث لتصرفاتها، واكتفيت بهذه الحالة من قسم شرطة رعاية الأحداث، وأمر الضابط بعودة الفتاة إلى غرفة الحجز مرة أخرى، وقلت له: ما الذى يحدث فى هذه الدنيا؟! ثم أجاب قائلاً: إن هناك العديد من الحالات المشابهة بالقسم وتختلف في تفاصيلها وتتفق فى الأسباب التى أدت إلى وقوعها، فنظرت له فى دهشة، وقلت له: وهل يعقل ذلك؟!

فقال لي: إن هناك أُسراً كثيرة مفككة لا تعلم الكثير عن أولادها وكل واحد منهم يريد إرضاء نفسه على حساب الأطفال الذين جعل منهم الشارع مجرمين وأصحاب سوابق، فما كان لى إلا أن التزمت الصمت على ما يحدث وشكرت صديقى الضابط، وتركت مكتبه متجهاً إلى عملي وأنا فى حالة حزن على هذه الفتاة، وعلى غيرها من اللائى تجاهلهن المجتمع وجعلهن مجرمات بسبب ترك آبائهن وأمهاتن لهن فى أيدى من لا يعرف الرحمة.

٨- حياتى تعيسة

كانت مصادفة أن ألتقى بـ«ياسمين» على باب (الأسانسير) لحظة صعودى إلى مكان عملي،كان حديثها لى مليئا بالشجن والحزن وبعض من العتاب وعدم سؤالى للاطمئنان عليها، فقد كانت زميلة عمل لفترة من الزمن، فهى لم تكن تدرى أن القدر يُخفى لها شيئا ما فى يوم من الأيام، بعد أن تركت حبيبها «حسام» الذي عاشت معه قصة حب تجاوزت العام، ولكن وجه الاختلاف بينهما جعل تلك الحياة لم تستمر، وبعد مرور أيام من ترك حبيبها وفسخ خطوبتها منه أرادت أن تتزوج بطريقة سريعة، لكى تؤكد لحبيبها أنه لم يفتها قطار الزواج، وأنها تزوجت فى وقت سريع، لأنها تتمتع بجمال صارخ وأنوثة طاغية تجعل الجاذبية هى طريق من يعرفها، هذا بالإضافة إلى سمعتها الطيبة وسلوكها الممتاز اللتين تتمتعان بهما بين الناس، عكس ما كان يظن فيها، وبعد فترة فوجئت «ياسمين» بمكالمة تليفونية من عمتها التى تعمل فى إحدى الدول الخليجية، وأبلغتها أن هناك عريساً يعمل طبيباً فى هذه الدولة واسمه «خالد»، وأنه يريد أن يتزوج من امرأة مصرية مثله، شرط أن تقبل العيشة معه فى هذا البلد (مكان عمله)، وأيضا فى نفس الوقت كان يعيش شقيقها فى نفس البلد، وأكد موافقته على الارتباط لما فيه من مزايا لأخته، وأخبروها بأن «خالد» يتمتع بسمعة حسنة وأخلاق طيبة، ولكنه متزوج من امرأة أخرى ولديه طفل ، وزوجته لا تريد العيش معه فى نفس البلد الذى يعمل به، وأرادت أن تعيش في القاهرة وهو يعيش فى الغربة بمفرده، ودائما كانت تحدث خلافات كثيرة بين زوجته بسبب الغربة المستمرة، ولذلك لم يفكر فى العودة لها، وقرر أن يتزوج من أخرى تقبل العيش معه في غربته، فعندما سمعت أن «خالد» متزوج بدأت تتراجع عن الموافقة عليه، وقالت فى ذهنها: كيف أستطيع العيش مع رجل تزوج قبلي، وأنا لم يسبق لى الزواج؟ كان حلمها أن تتزوج من شاب لم يسبق له الزواج من قبل ويكون أول فرحتها وتكون هى أول فرحته، وتمنت أن تعيش قصة حب جديدة مثل التى مرت بها من قبل مع «حسام»

لكن الأمر كان صعبا أمامها، وكان شقيقها وعمتها دائما يتحدثان لها بصفة مستمرة عن «خالد» (العريس الجديد) وأنه مناسب لها، وأنه فرصة كبيرة لها لن تتكرر، خاصة أنه مقتدر ماديا، وبدأت «ياسمين» تميل إلى حديث عمتها وشقيقها عن هذا الزوج هرباً من قصة حبها الماضية بعد أن تحولت إلى شبح يطاردها فى منامها، فاتخذت خطوة فى طريق الزواج بعد الإلحاح الشديد عليها، وبدأت تتعرف على «خالد» عبر الهاتف لمدة شهر متواصلة، حتى إنها تعودت على سماع صوته كل يوم ولم تستطع أن تنام قبل سماع صوته، وتستيقظ من نومها على صوته الحنون، وأصبح «خالد» محوراً مهماً فى حياتها وطلبت أن تشاهده عبر الانترنت، وظلت تراه كل يوم من خلال كاميرا عبر جهاز الكمبيوتر استعانت بها من أجل رؤيته كل يوم، وعندما تعودت عليه وأقنعها بفكرة الزواج من خلال كلامه المعسول فى حكاياته لها كل ليلة، على الفور وافقت على الزواج منه دون تردد، وتركت خلفها وتناست أنه متزوج من أخرى، وكانت الصدمة الأولى لها أنه طلب منها الزواج من خلال توكيل أرسله لأحد المحامين من أصدقائه، وطلب منها ألا يعرف أحد من أهله شيئا عن هذا الزواج حتى يتفادى أى مشكلة من الممكن أن تحدث، وتم عقد القران وقبل سفرها إليه علمت منه أن زوجته وصلها خبر زواجه، وحدثت خلافات بينهما شديدة وأن الزوجة استطاعت الاحتيال عليه وأخذت رقم هاتفها ، ولكنه كان لا يعلم أن كيد النساء عظيم وليس سهلاً،حيث اتصلت زوجته بها وهددتها إذا اقتربت من زوجها، وكانت هذه هى الصدمة الثانية لها عندما ردت على الهاتف ولا تعلم أن زوجة «خالد» سوف تتصل بها وتهددها إذا سافرت لزوجها، وعندما حاولت أن تستفسر من «خالد» عما يحدث، كانت مبرراته تقنعها ولم تفكر سوى فى أنها ستذهب إليه وتكون معه فى أسرع وقت ممكن حتى تتفادى أى صدامات أخرى، وغادرت «ياسمين» بالفعل البلاد مسافرة لزوجها «خالد»، وتقابلت معه لأول مرة فى نفس البلد الذى يعمل به، وبعد مرور أيام من وصولها له كان دائم الحديث عن زوجته الأخرى كل يوم حتى ملت منه

وحاولت أن تقول له إنها لا تريد أن تستمع إلى إطرائه المتكرر لزوجته وأنها امرأة غيورة ، لكن يبدو أن زوجته الأخرى كانت لها تأثير كبير بداخله، وبذلك شعرت «ياسمين» بأن أحلامها التى تمنتها تتحطم أمام عينيها، فبعد أن كانت تحلم بالرومانسية، التى كان يمارسها معها فى حديثه عبر الهاتف والانترنت، والتى كانت تتمنى أن تراها مجسدة فى حياتها معه، على العكس تماماً فكان بديلاً لذلك الجفاء والإهمال والبُعد فتحطمت الصورة التى رسمتها لحياتها، وبعد مرور شهر من الزواج لم تستطع أن تتحمل المعاملة التى يتعامل بها زوجها معها، وبدأت تصارحه بأن تلك العلاقة بها فتور شديد ولابد أن يغير من نفسه وأن يعطيها حقوقها كأنثى، وأن يكون رومانسيا معها ويترك ماضيه خلفه، إلا أن جميع محاولاتها معه باءت بالفشل ولم تنجح فى أن تجعل منه زوجاً حقيقياً، وبدأت الخلافات تنشب بينهما كل يوم على أمور كثيرة، وبعد مرور أشهر من الزواج علمت «ياسمين» أنها فى فترة حمل، فكانت سعيدة بالمولود الذى سيأتى، لكنها لا تعلم أن هناك صدمة كبيرة تنتظرها ولن تكمل فرحتها، وبدأ الزوج يدبر لها المكائد لكى يتخلص منها ويتركها، وذات يوم علمت أنه يتحدث مع زوجته الأخرى التى أكد أنه طلقها عند وصولها البلد العربى، وأنه تركها ولا يعلم شيئا عنها، وعندما واجهته بالحقيقة، وأنها اكتشفت على هاتفه رقمها ورسائل حب متبادلة بينهما، وكانت الصدمة أن علمت من الرسائل أن زوجته مازالت على ذمته، وحاولت أن تقنعه بالبُعد عنها إلا أنه رفض بشدة وتمسك بزوجته الأخرى واعترف بالفعل بأنها على ذمته وأنه لم يطلقها وأنه كذب عليها، وهو لا يستطيع الاستغناء عن زوجته الأخرى بأى حال من الأحوال، واستمر الشجار معها كل ليلة وأخذ الحديث بينهما شكلاً آخر ليكون الضرب والسب والإهانة هى الطريقة الوحيدة للضغط عليها حتى تطلب الطلاق، إلا أنها تحملت وحاولت أن تكتم أوجاعها بداخلها فى أمل انتظار مولودها الجديد، وعندما اقترب موعد الوضع حدثت مشادة كلامية شديدة بينها وبين زوجها، على أثرها قام الزوج بطردها من المنزل فى ساعة متأخرة بملابس نومها

وخرجت «ياسمين» ولا تعلم أين تذهب وكانت هذه أشد صدمة تعرضت لها، ولم تتوقع أن مصير الإنسان الذي رسمت حياتها الوردية معه سوف يكون بهذه الوحشية، ووضعت يدها على بطنها وقالت: لمولودها الذي لم ير الدنيا لا تخف إن الله معنا، واستوقفت سيارة أجرة وقالت: لسائقها إنها لا تملك مالا وتريد الذهاب إلى منزل شقيقها الذى يبُعد ما يقرب من ساعة عن منزل زوجها، وذهبت إلى شقيقها وروت له ما حدث واحتضنها وقضت ليلتها الأولى فى منزل شقيقها، وفى اليوم التالي حاول شقيقها أن يصل مع زوجها إلى حل لهذه المشكلة، إلا أن زوجها تمسك بطلاقها وعدم عودتها مرة أخرى إلى المنزل، وبعد محاولات عديدة عاد بها شقيقها مرة أخرى إلى المنزل، ولكن بعد مرور يومين كان الزوج يدبر لها مكيدة أخرى، ودارت مشادة كلامية بينهما بسبب زوجته التي ألحت عليه أن يُطلق «ياسمين» وهي على استعداد للعيش معه في البلد الذى يعمل به، وكان هذا السبب بمثابة فرحة شديدة له وبعدها قرر أن يتخلص من «ياسمين»، وعندما أراد أن يطلقها قبلت على الفور الطلاق، ولم تفكر فيه لحظة واحدة، خاصة بعد أن تعرضت إلى الطرد من منزلها فى ساعة متأخرة من قبل، ولكن كان شرطها الوحيد هو أن يعطيها جميع حقوقها الزوجية قبل أن يطلقها وقبل أن تغادر المنزل، لكنه رفض بشدة أن يعطيها حقوقها، وهي الأخرى رفضت الخروج من المنزل، وكانت المشاجرة حول الطلاق تدور بينهما فى منتصف الليل، واستيقظت فى الصباح ولم تجد زوجها على فراش نومه وتوقعت أنه فى العمل ولكن بعد مرور ساعتين وجدت جرس الشقة يدق فخرجت من غرفتها مسرعة إلى باب الشقة، كانت الصدمة هذه المرة مفجعة لها، حيث وجدت رجال الشرطة معهم أمر بالقبض عليها لأن زوجها أنهى إقامتها وطلب سرعة مغادرتها للبلاد، اصطحبها رجال الشرطة وسط دهشة شديدة والدموع كانت تملأ عينيها فى حالة من البكاء المستمر والذى أخذ شكلاً هستيرياً مما يحدث لها، فهى لم تتوقع هذه المعاملة من زوجها الذى لم تسئ إليه وندمت لسوء اختيارها.

فـى قسـم الشـرطة روت مـا حـدث مـن خلافـات مـع زوجهـا وطلبت الطلاق، ولكن بشروطها وهى عودة حقوقها الشرعية لها ولمولودها القادم، وطلبت رفع دعوى قضائية لها، وبالفعل تعاون معها رجال الشرطة وتمت إحالة الأمر إلـى القضـاء ، والإفـراج عنهـا لحـين صـدور قـرار القاضـى فـى حكايتهـا، وخلال هذه الفترة استعانت بشقيقها فى استئجار شقة تعيش فيهـا بمفردهـا، حتـى تضـع مولودهـا، وبعـد شـهور قليلـة بـدأت تبحث عن عمل لتتحمل أعباءها الشخصية وترفع هذا الحمل من على كاهل أخيها، وبالفعل عملت فى أتيليه للملابس، وبعد فترة لم تتحمل عناء العمل لطبيعته القاسية عليها وهى حامل، قررت البحث عن عمل أقل عنـاءً ، فوجدت عمـلا فى أحد محلات التجميل وظلت فيه حتـى لحظة الولادة التى غمرتها بالسعاة لقدوم مولودها، وبعد أيام علمت بموعد جلسة الحكم فـى القضـية التـى رفعتهـا ضـد زوجهـا، وتوجهـت فـى اليـوم المحدد للقضية، وكانت تقف أمام القاضى وتنتظر الحكم بلهفة شديدة، وكانت المفاجأة أن القاضى طلب منها أن تتنازل عن نصف مستحقاتها فى سبيل الطلاق، فقبلت الحكم وهى متأسية لحالها الذى وصلت إليه في بلاد غريبة، كما طلب القاضى من الزوج أن ينفق على الطفل، واستقبلت الحكم وعادت إلى بلدها بخيبة أمل كبيرة، ولم تستطع أن تُثبت من خلال التجربة أنها نجحت فيها، ومر عام والآخر ولم ولن يُفكر زوجها فى الاطمئنان على مولوده، أو ينظر إلى وجه الطفل الذى رزقه الله بـه، وتـرك خلفـه ماضـى اسـمه «ياسـمين» وابـن اسـمه «محمد» لم ير أباه ولم يعرف شيئا عنه حتى وصل الطفل لعامه الثامن، وظلت «ياسمين» تبكى بشدة وتروى قصتها المؤلمة لكى تتعظ منها كل فتاة، حتى لا يتسرعن فى مسألة الـزواج بـدون إمعـان للعقـل والقلـب معـاً، والبُعد عـن اتخـاذ قرارات من تفكير طائش رغبة فى الزواج دون رسم طريق جيد لمستقبلهم.

وما كان منى فى النهاية سوى مواساتها، رغم أن الدهشة والألم والإحساس بالوجع أخذنى طوال سردها لما مرت به طيلة سنوات غيابها عنا، وإذا بى التقت هاتفى المحمول واعتذر عن عدم حضورى للعمل لسوء حالتى من جراء ما سمعت من زميلتى التى أخذت نصيباً كبيراً من التعاسة لخوضها تجربة غير محسوبة، وحاولت أن أخفف عن «ياسمين» ما تعانيه بكلمات بسيطة أشعرها بأن الدنيا لم تقف عند هذه التجربة، فهناك الكثير لكى تبتسمى وتُكملى حياتك مع وجود الهدية التى أهداك الله إياها ألا وهى ابنك، فربما كان هو الجائزة أو العوض عما عانيتيه، فاصبرى

٩- جريمة عصر

في منطقة الحسين التي يوجد بها أبهى وأعظم ما سجلته وأنتجته يد المعماريين المصريين في العصر الفاطمي «القاهرة الفاطمية»، تدور أحداث هذه القصة، حيث اتصل بي صديقي «حاتم» المحامي ذات يوم، وقال لي: أنا عندي لك موضوع في غاية الأهمية، استغربت له بشدة، وقلت له: ياترى إيه الموضوع ده، رد قائلا: لما تيجي المكتب هحكيلك كل حاجة.

أكملت عملي وفي نهاية اليوم ذهبت إلى «حاتم» بمكتبه بمنطقة الحسين حوالي الساعة التاسعة مساءً، وعندما شاهدت «حاتم» وجدت على وجهه ملامح ابتسامة جميلة تسحبها أبعاد غريبة لحدث ما قوى بداخله، جلست في مكتبه، وطلب مني أن أشرب شيئاً، وبعد أن أحضر لي

المشروب، قلت له: خير إيه الموضوع المهم اللي إنت قلت لي عليه، رد «حاتم» وقال سأروي عليك حكاية غريبة وعجيبة، ثم قال: عندما كنت أطل كل يوم من نافذة منزلي في الصباح أو في المساء كنت أشاهد أطفالاً تجلس على رصيف الشارع، وكنت عندما أخرج من منزلي أقف معهم وأعطف عليهم بالمأكولات والمال، وكان عددهم يتجاوز العشرين طفلاً تقريباً، وظلت صورتهم أمام عيني لعدة سنوات، وكنت أشاهدهم أيضاً في بعض الميادين الرئيسية وأمام مسجد الحسين، ولكن فجأة وجدت عددهم يقل إلى أن وصل إلى أربعة أطفال تقريباً، وعندما حاولت أن أسأل عن باقي المجموعة أجاب أحدهم: إن هناك شخصاً يأتي إليهم على فترات قصيرة وكان يأخذ مجموعة من الأطفال معه بحجة أنهم سوف يعملون في أحد المحال أو في بعض الأعمال اليومية، وسوف يعطي لكل واحد منهم خمسة جنيهات في اليوم غير الأكل والشرب، واستقطب بالفعل عدداً كبيراً من الأطفال، الأمر زادني دهشة غريبة، وبدأت أتجول في الميادين لأعرف إذا كان هؤلاء الأطفال مازالوا متواجدين أم لا؟! فوجدت أن عددهم يتناقص عكس ما كنت أراهم دائماً عليه وأنه لا أثر لبقيتهم، فاندهشت غياب الأطفال المفاجئ

فأين يا ترى ذهبت أطفال الشوارع دون إنذار؟!، فقد اختفى عدد كبير منهم ولا أحد يعلم شيئاً عنهم، ثم قرأت فى إحدي الصحف بعد فترة زمنية أنه تم العثور على مقبرة جماعية للأطفال على الطريق الصحراوى قرب التجمع الخامس، ومن ثم بدأ الشك يدور فى ذهني بأن هؤلاء الأطفال تم خطفهم بمعرفة «إحدى العصابات المتخصصة فى سرقة الأعضاء البشرية» وقامت ببيع أعضائهم للدول الغربية، وربطت تلك الأحداث ببعضها البعض عندما علمت بعدها أنه تم العثور على أجساد هؤلاء الأطفال بدون بعض أعضائهم البشرية، ومن هنا تأكدت أن هؤلاء الأطفال تم اختطافهم من الشوارع وتم بيع أعضائهم خارج البلاد، وذلك لأن هؤلاء الأطفال ليس لهم أحد، ولا يوجد من يسأل عنهم أو يهتم بشئونهم، وكل ذلك كان يحدث تحت مظلة الحكومة السابقة التى أعطت الفرصة لتجار الأعضاء البشرية من أصحاب المستشفيات الاستثمارية أن يستولوا على أطفال الشوارع ويتاجروا بهم، وزاد تأكدى عندما جاء أحد أقاربى، والذى يعمل فى المطار ذات يوم يحكى لى :إنه شاهد صندوقاً صغير الحجم يتم نقله عبر الطائرات يومياً، وعندما حاول أن يستفسر عن الذى بداخل الصندوق علم أن الذى بداخله«قرنيات»، وعندما شرح قريبى حجم الصندوق الذى يسمى «ايس بوكس» وأن حجمه لا يتجاوز أربعين سنتيمتراً استغربت لحجم الصندوق، وقلت له: إن حجم صندوق قرنيات العين لا يحتاج لتلك المساحة الكبيرة، ويبدو أن هناك شيئاً غامضاً يُهرب فى هذه الصناديق، وبعد أن روى لى قريبى هذه المعلومات، فوجئت بأنه يتصل بى بعد مرور أسبوع، وقال لى: أنه تم نقله إلى مكان بعيد، ويبدو أنهم علموا أنه سوف يكون مصدر قلق عليهم من كثرة تدخله فى نظام عملهم وأسئلته الكثيرة عما بداخل الصناديق، وبدأت أبحث أكثر عن «مافيا الأعضاء البشرية»، ثم علمت بعد ذلك أن هناك بحيرة شهيرة يتم التخلص فيها من أجزاء الأطفال المتبقية بعد سرقة الأعضاء وبيعها لتكون طعاماً للتماسيح

كما علمت أيضاً أن الطفل الواحد يبلغ ثمن أعضائه مليون جنيه تقريباً، وأن هناك رجال أعمال تخصصوا فى هذا النوع من الإستثمار، الذى ينافي كل عرف وخلق ودين، فهم ليسوا بشراً وإنما وحوش أكلوا أجساد أطفالنا وملأوا بطونهم بدمائهم، ثم توجهت بعد ذلك إلى النائب العام وقدمت بلاغاً ،ولكن للأسف لم يتم التحقيق فيه، وذهب دم هؤلاء الأطفال هدرا ولا أعلم أين سيكون مصير الأطفال المتبقيين فى الشوارع الآن، هل سيواجهون نفس المصير الذى سبقهم إليه أقرانهم؟، أم سوف يكون لهم مصير آخر ينتظرهم؟.

وأنهي صديقى «حازم» حديثه المؤلم لى وكانت حالته سيئة للغاية، نتيجة عدم التحقيق والاهتمام بالبلاغ الذى قدمه للنائب العام .

فكان علىّ ألا أصمت عن هذه الجريمة التى ربما يصل الأمر فيها أن تُسرق أولادنا وهم داخل منازلنا وفى أحضاننا لا فى الشوارع أو الميادين، ما دام يحيا فى مجتمعنا مثل هؤلاء التجار الذين نُزعت من قلوبهم الرحمة والآدمية ولم يختلفوا كثيراً عن الوحوش المفترسة، فهل ننتظر أن يحدث هذا؟ فسارعت في عمل موضوع صحفي ونشرته فى إحدى الجرائد التى أعمل بها، عله يحرك ساكناً للرأى العام لمحاربة هؤلاء التجار فى أوكارهم وعدم السماح لهم بالحياة على دماء أطفالنا، لأن الجهات المعنية تحتاج إلى الأدلة المادية حتى تتحرك وهذه الأدلة ربما لا تتوافر لدينا.

١٠- جنون ليلى

ما أكثر ما يعانيه الإنسان من اختبارات في حياته دون سابق إنذار، ولكن هناك دائماً من يراه .. ويسمعه .. ويشعر به هو الله الذي يعطيه ويمنحه الطاقة الإيمانية التي يتحمل من خلالها .لم أتخيل يوماً أنني سوف أقابل فتاة ظلمت ودخلت مستشفى الأمراض النفسية بسبب والديها وأشقائها، حيث جاءني أحد أصدقائي ذات يوم وطلب مني مساعدة فتاة ظلت في مستشفى الأمراض النفسية لعدة سنوات ظلماً، وروى لي قصتها، وبالفعل طلبت منه أن أجلس معها واستمع لها، وفي اليوم التالي جاءني صديقي ودخل مكتبي وهي خلفه، تنظر إلى المكتب وتنظر إلى زملائي بخجل شديد، واقتربت مني وطلبت ألا يسمعها أحد وهي تروي قصتها، وبالفعل حققت لها مطلبها بأن استأذنت من زملائي بمغادرة المكتب حتى يتسنى لها أن تطمئن وتروي ما شاءت، وقبل أن تبدأ قصتها شاهدت الحزن يملأ عينيها، وبدأت بتعريف نفسها قائلة: أنا «ليلى» وأبلغ من العمر ٤٩ عاماً وعندي ٧ أشقاء ٥ بنات وولدين، واستطردت : والدي قبل أن يتوفاه الله كان يعمل مديراً لأحد الفنادق الشهيرة، وكان يتقاضى راتباً كبيراً، ووالدتي ربة منزل ، وكنت أواجه صراعات كثيرة داخل المنزل منذ الصغر، مما دفع أهلي إلى أن يتخلصوا مني إلى الأبد وأدخلوني مستشفى الأمراض النفسية دون سبب، وقبل دخولي المستشفى أدخلوني مصحة نفسية خاصة، وبعد فترة قليلة من دخولي المصحة أوصى الأطباء بإعطائي جلسات كهرباء على المخ، وكنت بعد كل جلسة أتبول على نفسي من شدة تأثير الصدمات الكهربائية، ولم يرحمني الأطباء المعالجون من الجلسات التي أثرت على مخي، ومكثت بهذه المصحة لمدة ثلاثة أشهر، وكان الطبيب المعالج لي يهودي الجنسية وعندما قام الطبيب بالكشف والفحص الطبي عليّ كتب في تقريره الطبي أنني أتمتع بذكاء كبير وأبلغ والدي بذلك، لكن لا أعلم لماذا كانوا يصرون على إعطائي الصدمات الكهربائية بعد علمهم بما جاء في التقرير، ثم فوجئت بعد ذلك بأن أبي حاول أن يدخلني إحدى مستشفيات الأمراض النفسية لأنه كان يكرهني بشدة هو ووالدتي وأشقائي ، لإحساسهم بأنني مصدر متاعب لهم طوال الوقت

وبالفعل نجح في ذلك، وكان عمري وقتها ثمانية عشر عاماً، وكنت وقتها قد حصلت على (الثانوية التجارية) وكنت دائماً أحقق أعلى الدرجات أثناء فترة الدراسة، وبعد تخرجى حلمت بأن ألتحق بكلية الطب لكونى أتمتع بذكاء علمى كبير، وكنت أواجه في هذا المنزل العنصرية ، لأن والدى ووالدتى كانا يهتمان بأشقائي أكثر مني، وكانا دائماً يتشاجران معى بدون أسباب واضحة، وكنت أشعر بالضعف بينهم، ثم أخذنى والدى من المصحة وأدخلنى المستشفى وجلست فيها أكثر من عشرين عاماً، ووالدى حاول أن يقنع الأطباء بأننى مجنونة، وقال لهم أننى افتعل أعمال الجنون فى المنزل، وأوصى الأطباء بعدم التصريح لى بالخروج من المستشفى وأن أظل فيها باقى عمرى، والغريب في هذا أنه بعد فترة من دخولى المستشفى أصيب بجلطة فى القلب، وكان يمر بحالة مرضية سيئة وأرسل لي مع شقيقي الذى زارنى طالباً منى السماح على أى شيء فعله معى ثم توفي بعد ذلك، وبعد دخولى المستشفى، بدأت رحلة العلاج والعذاب داخل المستشفى الذى وصى بها أبي، حيث كانوا يعطوننى صدمات كهربائية على المخ، ووصلت عدد الجلسات إلى ١٥٠ جلسة طيلة الفترة التى قضيتها داخل المستشفى، مع العلم أن الأطباء أقروا بأننى شفيت تماماً، ولا خوف من التصريح لى بالخروج والتعامل مع الآخرين، لكن شقيقى قام بدفع مبالغ مالية لكى أبقى داخل المستشفى وأوصاهم بمواصلة إعطائى الصدمات الكهربائية، وبدأت الذاكرة تضعف عندى ودخلت فى حالة لم أستطع بعدها تذكر ما يحدث حولي أو إدراك بعض الأمور والأشياء، وكنت بالنسبة للمرضى المتواجدين بالمستشفى نزيلة مثالية لحسن أخلاقى ومعاملتى الطيبة لهم، لكنى واجهت ظلماً وتعذيباً داخل المستشفى، وكانوا يعطوننى الصدمات الكهربائية بدون مسكنات، وكنت أشعر بشدة الكهرباء فى جسدى ولم يرحمنى أحد، وشعُرت بعد ذلك بأن هذا انتقام وليس علاجاً، وأن هناك مخطط لقتلي، ثم قاموا بحبسى فى غرفة مساحتها «متر فى متر» مظلمة تماماً لمدة ست سنوات ونصف، فلم أر الضوء نهائياً طوال هذه المدة، وكنت أجلس بدون طعام لمدة يومين داخل هذه الغرفة التى واجهت فيها أشد أنواع التعذيب، وزارنى أشهر أطباء الطب النفسى فى مصر فى المستشفى

وقال لي: «إنتى عايزة قاموس طبى جديد يكتب عن حالتك»، وقال ذلك بعد أن أخذ يحدثنى أكثر من نصف ساعة حاورني خلالها، وقام بعمل عدة اختبارات ذكاء نجحت فيها، وكان تشخيصه لحالتى أنها حالة جيدة ولا تحتاج البقاء داخل المستشفى، ووعدنى بأنه سوف يصرح لى بالخروج، لكن أهلي كانوا رافضين لفكرة الخروج، وكان تصنيفه لحالتى أنها «اكتئاب نفسى»، وكان يوجد مرضى كثيرون يعانون نفس الحالة، وتم التصريح لهم بالخروج بعد استقرار حالتهم، فلملمت قواى العقلية وبدأت أفكر فى طريقة تساعدنى على الخروج، وبالفعل تشجعت وتقدمت بطلب خروجي لمدير المستشفى، والذى وافق عليه بالفعل، وظننت أنه قد كُتبت لى حياة جديدة خارج أسوار المستشفى، ولكن «تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن»، فلم يكن خروجى مفرحاً لأسرتى، حيث وجدت أشقائى غاضبين من خروجى هذا، وفجعت بقول والدتى لى: «إنت إيه اللى جابك»، ثم إتصلت على الفور بشقيقي الأكبر وطلبت منه الحضور فوراً، وعندما أتى كرر ما قالته والدتي: «إيه اللى جابك» «ومين اللى سمح لك بالخروج من المستشفى»، فقلت له: إن الذى سمح لى بالخروج هو نفس الشخص الذى أعطيته الأموال من أجل إبقائى داخل المستشفى طوال عمرى، هو: «مدير المستشفى» الذى وافق على خروجى، ثم قال لى: «أرجعى مكان ما جيتي» وحاول طردى من المنزل، لكن لم يستطع وانتابتنى حالة هيستيرية من البكاء الشديد المتواصل التى حركت فيهم الشفقة على حالتى التى كنت عليها، وقالت أمى: «خلاص يا ابنى سيبها تقعد معانا»، واستسلم الجميع للأمر الواقع، وبقيت معهم لمدة شهرين فى المنزل ثم بدأت القسوة تظهر منهم مرة أخرى، وأجمعوا على دخولى المستشفى مرة ثانية، فما أن علمت بما عزموا النية عليه إلا وقمت بالفرار وهربت، ولا أعرف أين أذهب وأين أعيش، فحاولت البحث عن عمل، وبالفعل عملت «خادمة» فى المنازل لمدة عام تقريباً، ثم بعد ذلك عملت مربية فى حضانة أطفال، وبعد فترة لم أستطع حسابها من كثرة ما عانيته من شقاء

تعرفت على رجل كان يعمل سائق أتوبيس، وكان لديه أولاد من طليقته، وقال لى: إنه كان يبحث عن زوجة تربي له أولاده، وتزوجنا وقضيت معه عامين كنت أواجه فيهما القسوة أيضاً بعد أن تحولت معاملته الجيدة لى إلى معاملة الضرب والسب التى اعتاد عليها، خاصة أننى لم أنجب منه، ثم طلبت الطلاق مع أننى كنت أراعي الله فى كل تصرفاتى معه، وكنت أتقي الله في تربية أولاده، لكن القسوة التى كان يعاملنى بها دفعتنى لطلب الطلاق، وبعد عامين من الطلاق حاولت العودة إلي منزل أهلي مرة أخرى، وأخبرتهم بأننى لن أكون مصدراً للقلق بينهم، فقد نخر الشقاء بدني طوال السنوات الماضية، لكن شقيقى رفض دخولى المنزل وتعامل معى بقسوة مرة أخرى، وحاولت أن أفهم منه لماذا يمنعنى من الدخول لكنه رفض الحديث معى، ثم قلت له: لماذا تمنعنى من دخول المنزل الذى أملك ميراثاً فيه مثلكم، فقال لى: «إنتى ملكيش حاجة عندنا أخرجى من هنا بدل ما أرتكب مصيبة»، فاندهشت من كلامه وكنت أخشى على نفسي أن يقتلنى، وخرجت مهزومة من المنزل دون أن أحصل على حقى فى الميراث، وحرمونى من كل شيء، وأصبحت الآن لا أجد مكاناً يأويني ولا طعاماً يسد رمقى، وكل يوم (أتوه) فى الشوارع باحثة عن مكان يأويني من الذئاب التى تملؤها، فأنا أخشى الله وأملك إيماناً قوياً، وأنتظر أن يهدي الله أشقائى حتى يقوموا بانتشال لحم أختهم من الشارع قبل أن تنهشه الذئاب، وأن يعطونى حقى فى الميراث قبل أن يتوفاهم الله ويندموا بعد ما لا ينفع الندم.

وأنهت «ليلى» حديثها معى قائلة: رغم ما مررت به من نكبات، أرجو ألا يحدث لفتاة أخرى، وواثقة من أن الله معى وأنه منحنى صبراً واحتمالاً أواجه به هذه الشدائد لم يكن من السهل أن أكتسبها فى ظروف أخرى، فهذه حكمة الله وأنا راضية بقضائه وقدره .

تألمتُ كثيراً بعد ما سمعت قصة «ليلى» التى روتها وهى تبكى فى صمت محتبسة دموعها حتى لا أشعر بآلامها، ولكنى لم أكن أعلم أن هناك أم وأشقاءٍ فقدوا كل معانى الرحمة والشفقة، وقلت لـ «ليلى» مواسياً لها ولشقائها وأنا أرى التعاسة تطل من عينيها: «أجعلى الله أمامك وفى نفسك دائماً، فهو الذى سيخفف ما تعانيه، فأنت تمتلكى قدرة إيمانية هى مصدر احتمالك للمصائب التى مرت بكِ، وسوف يكون جزاؤك عند الله خيراً وستحصلين عليه فى الدنيا وفى الآخرة»، فاطمأنت لكلامى وشعُرت بأن هناك من يشاركها ويواسيها فى محنتها، ثم طلبت منى قبل أن تغادر المكتب أن أساعدها فى الحصول على حقها، وأن أبحث لها عن عمل شريف تعيش من دخله، وفى النهاية انصرفت «ليلى» وصديقى، وجلست أفكر فى هذا النوع من الظُلم الذى تتعرض له فتاة، فتُطرد من منزل والديها ليكون الشارع الذى يأوى الكلاب الضالة مأوى لها فهل يحتمل ظلم كهذا؟ وهل هناك قلب أم حجر وامتلأ بالقسوة إلى هذه الدرجة على فلذة كبدها ؟؟ !!.

المؤلف فى سطور

عمل فى عدد من الصحف المعارضة، متمسكاً برؤيته فى حق التعبير والرصد الحر لجميع قضايا المجتمع .. ومن هنا جاءت فكرة مجموعته القصصية، معتمداً على مخزونه الفكرى والصحفى عند رصده لكثير من القضايا الشائكة ، بدءً من إصدار كتابه الأول (الإعلام وجيوش الظلام)، والذى تحدث فيه عن أهم المعوقات التى تمنع الإعلام عن تقديم واجباته نحو المشاهدين، ومدى الحرية المتاحة للإعلاميين كى يكونوا فاعلين نحو المجتمع .

ويأتى كتابه الثانى عبارة عن مجموعة قصصية بعنوان (عم سيد)، راصداً فيها قضايا تنخر فى جسد هذا المجتمع .

للتواصل مع المؤلف :

البريد الإلكترونى : Almasry 221@hotmail.com

٠١٠٠٣٤٠٥٧٦٩ ـ ٠١٢٢٢٨٢١٥٣١

الفهرس